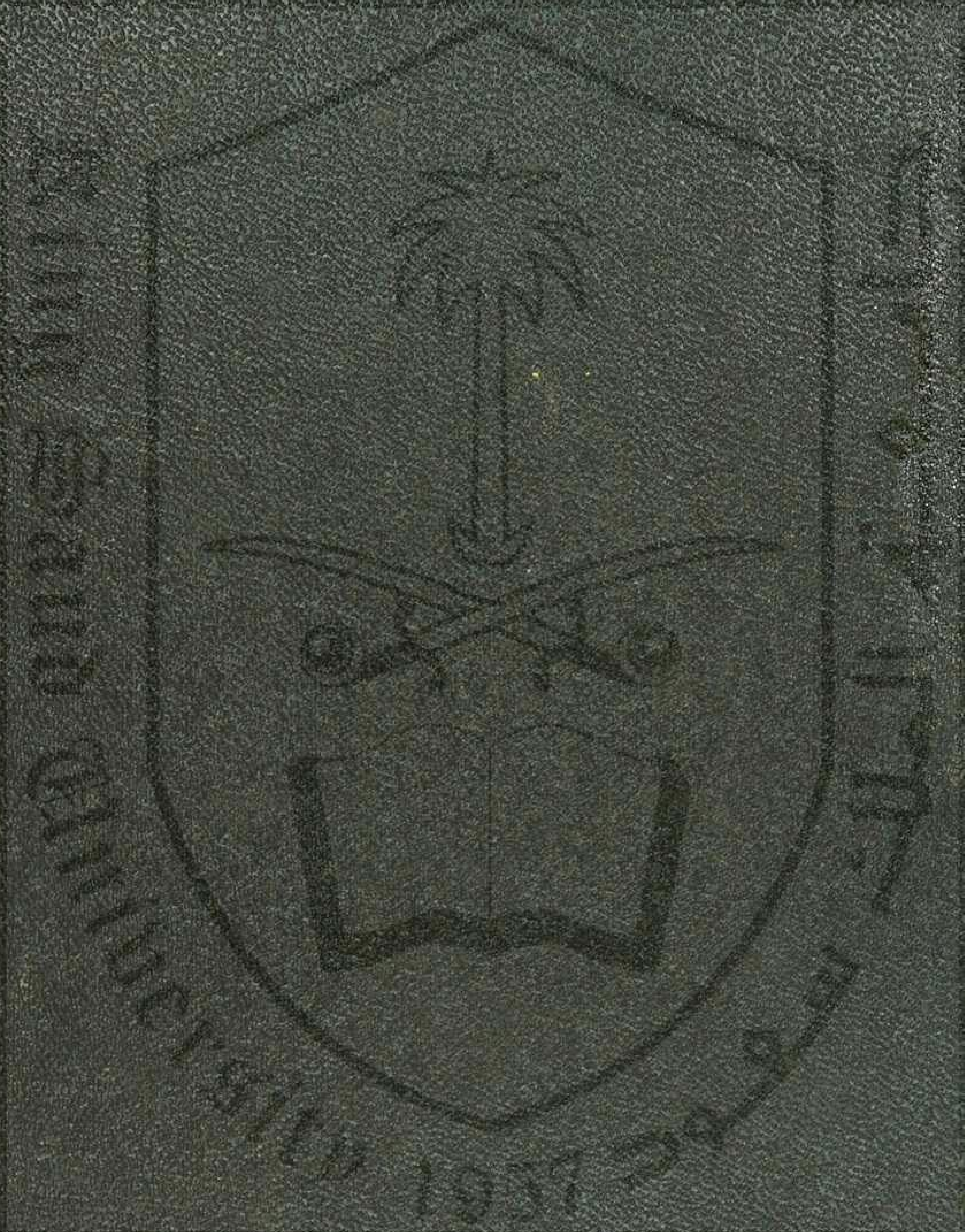
رسالة المرلم

مصطفى ابن بستان



رسالة الغرام في أحوال بيت الله الحرام ، تأليف ابن سنان

مصطفى بن سنان – ١٠٣٢ هـ ، كتبت في القرن الثالث

عشر الهجري تقديراً .

٢٤١١ ١٥١ ق ١٩ س ٢٠،٥ × ١٥،٥ سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد

مكة المكرمة / المسجد الحرام

هذا الكتاب رسالة المرام في احوال
بيت الله الحرام تاليف الواثق بالله تعالى
مولانا الافندي الاعظم الاكرم مصطفى
ابن سنان نفعنا الله بعلومه
والمسلمين امين يارب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله
وصحبه
وسلم
اميم
٤

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي جعل البيت الحرام امنا والصلوة على نبيه خير
من ادى المناسك فينا وعلى اله واصحابه الذين هم هداة
الدين وافضل منا اما بعد فيقول المستوهب من الله
الملك المنان العبد الضعيف مصطفى بن سنان الطوسي
غفر الله له ولوالديه ونولهم كرامة لديه هذه رسالة في
تبيين احوال المسجد الحرام وتعيين اماكن البيت والمقام
وكان النادب لنقلها وتحريرها والموجب لكتبها وتسطيرها
هو اني لما صرت مدرسا بمدرسة سلطان السلاطين خادم
الحرمين الشريفين من العثمانيين السلطان سليمان بن
السلطان سليم ووقع الابتدا والاقتباس من قوله تعالى
ان اول بيت وضع للناس ولاجل هذا كان التعرض لاحوال
البيت ملتزما والسعي في بيان المشعر والمقام متحتما وكان
درسي هذا في الحرم عند المطاف بين جم غفير من سادة
العلما والاشراف فهم ان سمعوا مني الصواب فهو من الله
الهادي الوهاب وان راوا مني الخطا والارتياب فهو من
كثرة الاشتغال وقلة الكتاب لاني لما انفصلت من قضا
دمشق الشام واتصلت بخدمة البلد الحرام ما كان لي
استطاعة للسفر ولا طاقة ولا جمل عندي ولا ناقة لي اركب
عليها

عليها الماشي فقلت ان تعلق عليها متون الكتب والحواشي وبهذا
كثر عذري وعرف قدري وسميتها رسالة المرام في احوال
بيت الله الحرام والمقام وهي مرتبة على مقدمة ومقالة
فالمقدمة في بيان اول البيت وثانيه وبنايه وبانيه وما
يناسب ذلك والمقالة فيما يتعلق بعلم التفسير اعلم
ان اهل الملل اتفقوا على ان بناء هذا البيت الشريف بعد
الطوفان بناه سيدنا ابراهيم ابن ازر وهو تارخ لقب ازر
عند البعض وباقي نسبته الى ادم مختلف فيه ولاجل هذا
تركت على نبينا وعليه افضل الصلوات والسلام وكان مولده ليلة
الجمعة ليلة عاشورا المضي الف واحدى وثمانين سنة من الطوفان
وكان الطوفان بعد هبوط ادم عليه السلام بالفين ومائتين
واثنين واربعين سنة على مذهب الاكثر وهو العمدة في هذا
الباب كذا في العرايس وكان بين الطوفان وبين مولد سيدنا
ابراهيم الف ومايتا سنة وثلاثون سنة وذلك بعد خلق ادم
عليه السلام بثلاثة الاف سنة وثمانماية سنة وسبعة
وثلاثون سنة على ما عليه اكثر اهل الحساب واتفقوا ايضا
على انه عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان
نمرود عاملا على العراق من جانب الضحاك هو الاصح وتطاولت
مدة نمرود بالسواد اربعماية سنة وبين مولد ابراهيم

عليه السلام وهجرة نبينا صلى الله عليه وسلم الفان وثمانمايه
وثلاث وتسعون سنة على اختيار المورخين والاختلاف في ذلك
كثير واختلف في مولد ابراهيم عليه السلام قيل بالسوس
من ارض الاهواز وقيل ببابل وهي بابل العراق سميت
بذلك لتبلبل الالسن بها عند سقوط صرح نمروذ وقيل بكوثى
بضم اوله وبالثاء المثلثة مقصورا وهي بالعراق معلومة
بسواد الكوفة وقيل بكسكر وفي القاموس كسكر كجعفر كورة
قصبتها واسط هذا هو الاصح لان نمروذ ساكن في العراق
وقصته عليه السلام معه انما كانت في العراق يحتاج الى
التاويل بان يقول ولد في حران او في الاهواز ولكن اباه
نقله الى بابل ارض نمروذ ولا شك ان اسمه عليه السلام
اعجمي لان لغة اهل زمانه سريانية على الاصح وفيه لغات
اشهرها ابراهيم والثانية ابراهام وقرئ بهما في السبع
والثالثة والرابعة والخامسة ابراهم بكسر الهاء وفتحها وضمها
حكاهن الامام ابو حفص نقلا عن الامام الحسن الماوردي
معناه بالسريانية رب رحيم قالوا يحذف الالف من
الاسما الاعجمية نحو ابراهيم واسحاق واسماعيل واسرائيل
استثقالا لانها كما كثر حروفها الذي لكما وكذلك سليمان وهارون
واما ما لا يكثر استعماله فيها كهاروت وماروت فلا واما الحذف
من

في القاموس [illegible] بها ولد [illegible]

من داود وان كان مستعملا لانه حذف منه احدى الواوين
ولو حذفت الالف ايضا اجحفه بالكلمة وان كان على فاعل كصالح
وسالك وخالد يجوز الاثبات والحذف بشرط ان يكثر استعماله
اما اذا لم يكثر استعماله كسالم وجابر وحاتم وحامد لم تحذف
الالف ولا يجوز حذف الالف من عمران ويجوز حذفها واثباتها
في مروان وعثمان وسفيان ونحوها كذا ذكره النووي في
تهذيبه ولا يخفى عليك ان ادعا كثرة الاستعمال في مثل ابرا هيم
واسماعيل وتركه في مثل مروان وعثمان محل كلام واما
نسب نمروذ المرود فهو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام
ابن نوح وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر وطغى في
الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون
فقالوا له سيولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين
اهل الارض وهلاكك في يده فامر بذبح كل غلام يولد في تلك
السنة وامر بعزل الرجال عن النسا وكان ازر وزيره وكان يحبه
حبا شديدا فوجد امراته خالية في مكان ولم يتمالك نفسه
حتى واقعها فحملت بابراهيم عليه السلام قال الكهان لنمروذ
ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر
نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادته اي ابراهيم عليه السلام
واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل

ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعته
في حلفا ورجعت واخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في
موضع كذا فانطلق ابوه واخذه من ذلك المكان وحفر له
سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه هذا هو العمدة
في هذا الباب وان كان له طرق كثيرة واختلفوا ان
تلك المغارة في قرية برزة وهي قريبة من دمشق الشام
وهي المشهورة هناك بمولد ابراهيم عليه السلام والحمد لله
زرت هذا المقام الشريف وحصل لنا الانس فيها لكن
الاصح انه ليس بمولده عليه السلام بل منزله نزله في تلك
المغارة حتى قصد التوجه الي سيدنا لوط عليه السلام
وهذه القصة معلومة عند اهل التواريخ وكان اليوم
في المغارة على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر
والشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا
حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشا ونظر وتفكر في
خلق السموات والارض كما ذكر في القران العظيم وكان
ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر لعل بعضهم
يعبدون الاصنام والشمس بعضهم يعبدون الكواكب

اواصنامهم

اواصنامهم في صورة الشمس والقمر كما فعلوا الصابئة وجادلوه
في دينه وتمام مجادلته عليه السلام مع قومه وكسر اصنامهم
وخلاصه عليه السلام من نار نمروذ مذكور في القران
العظيم على ابلغ وجوه واتمها فلما راى قومه ما صنع الله
به من جعل النار عليه بردا وسلاما اسلم خلق كثير على خوف
من نمرود وامن له لوط عليه السلام هو اول من امن به
في رواية وهو بن اخيه هاران وامنت سارة بنت
هاران واختلفوا في هاران هذا بعضهم يقول اخوه
وبعضهم يقول عمه لان اسم عمه موافق اسم اخيه وهذا
اولي لان سيدنا ابراهيم تزوج سارة بنت هاران واذا
كان هاران اخاه يحتاج الي عذر بان يقال ان تزوج بنت الاخ
يجوز في شريعتهم وهذا ليس بمعلوم بل مبناه الجواز
وفي العرايس روي ان نمروذ اراد ان يكيد لابراهيم عليه
السلام كيدا بنوع اخر واخبره بمكره ابن اخيه لوط فخرج
من كوثى ارض العراق مهاجرا الي ربه وسار باهله ساره
ومعه لوط يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة
ربه وخرج معه ازر ابو ابراهيم وكان مقيما على كفره
ولما نزلوا بهاران مات بها ازر على كفره كما ذكر في القران
العظيم فمكث بها ابراهيم ما شاء الله ثم خرج منها فنزل الرها

اوبعلبك ونزل لوط عليه السلام لاردة فارسله الله تعالى نبيا
الى سدوم ومابينها وكانوا اهل كفر وفواحش ثم وقع القحط
فسار ابراهيم عليه السلام الى مصر فوجد فيه فرعونا من فرا عنتها
يقال له سنان بن علوان من اولاد سام ومال الى سارة
فاخلصها الله تعالى من يده قال السهيلي لما ادخلها
فرعون الى قصره بقي ابراهيم عليه السلام خارج القصر متحيرا
فجعل الله تعالى حيطان القصر شفافة كالزجاجة حتى يري
ابراهيم باطنها من ظاهرها فلما دنى الملك منها راى وجها
لم ير مثله قط وكانت من اجمل نساء زمانها فمد يده اليها
ليضمها الى نفسه فيبست يده وجعل سقف البيت وجدرا نه
يتحرك فخاف على نفسه فابتدر الى صحن البيت فسالها الملك
فاخبرته انها امراة ابراهيم فقال لها ادعي الله ان يعافيني
فدعت وشفيت يده وهكذا الى ثلاث مرات ثم فرغ ووهب
لها هاجر وجارت عند ابراهيم عليه السلام وكان لا يولد له
من سارة فوهبت له هاجر وقالت عسى ان يرزقك الله
ولدا فحبلت هاجر باسماعيل وولدته وفي سيرة مغلطاي
تفسيره مطيع الله وهو الذبيح فولد له اسماعيل وهو ابن
تسعين ولما ولدته كان نور محمد صلى الله عليه وسلم

لامعا

لامعا من جبهته فغارت سارة عليها فناشدته ان يخرجها
من عندها فاوحى الله تعالى يا ابراهيم ان طع سارة في كل
ماتقول ثم انها تملا يدها من دمها فقال ابراهيم عليه السلام حلفت صح
خذيها واختنيها تكون سنة من بعدكما وتخلصين من
يمينك ففعلت وكانت سارة اول من اختتنت من النسا
وابراهيم اول من اختتن من الرجال قال السهيلي فثقبت
اذنها وكان هذا عادة للنسا ومع ذلك لم يسكن جاش
سارة حتى ال الامر الى ان هاجر ابراهيم بهاجر وولده اسمعيل
ونزلوا حوالى حرم مكة شرفها الله تعالى وذكر العلما في
سبب هجرته غير هذا لكن الاعتماد على مانقلناه وفي
الاكتفا ركب ابراهيم البراق وحمل اسماعيل امامه وهو ابن سنتين
وقيل وهي ترضعه وهاجر خلفه ومعه جبريل وفي تفسير
القشيري ان ابراهيم لما هاجر وولده اسمعيل وامه هاجر
الى مكة مر على قوم من العمالقة فوهبوا لاسمعيل عشرة اعنز
فجميع اعنز مكة من نسلها وفي الاكتفا فكان لا يمر بقرية الا
قال له ابراهيم بهذا امرت فيقول لا حتى قدم مكة وهي اذن
هناك وهي ماصفر من شجر السلوك يوم عضاه وسلم وسمر
والعماليق وهو من شجر الطلح يرسيد حول الحرم وهم اول
من نزل مكة ويكونون بعرفة فكانت المياه يومئذ قليلة وكان

قد دثر حجر موضع البيت وهو ربوة حمرا مدرة وهو مشرف
على ما حوله فقال جبريل حين دخل كدا وهو الجبل الذي يطلعك
على الحجون والمقبرة بهذا امرت قال ابراهيم بهذا امرت قال
نعم فانتهيا الي موضع البيت فعمد ابراهيم الي موضع الحجر
فاوي اليه هاجر واسمعيل وامرها ان تبني فيه عريشا فلما
اراد ابراهيم ان يخرج وراة ام اسمعيل انه ليس بحضرتها
احد من الناس ولا ما ظاهر تركت ابنها في مكانه وتبعت ابراهيم
عليه السلام فقالت يا ابراهيم الى من تدعنا فسكت عنها حتى اذا
دنا من كدا قال الي الله عز وجل ادعك قالت فالله امرك بهذا
قال نعم قالت فحسبي تركتنا الى كاف وانصرفت هاجر الي ابنها
اسمعيل وخرج ابراهيم عليه السلام حتى وقف على كدا ولا ما
ولا ظل ولا شي يحول دون ابنه فنظر اليه فادركه ما يدرك
الوالد من الرحمة لولده فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون ثم انصرف ابراهيم عليه السلام راجعا الى الشام
ورجعت ام اسمعيل الى ابنها فعهدت هاجر فجعلت عريشا في
موضع الحجر من سمر ومعها شن فيه ماء وجراب فيه تمر

وفي

وفي الاكتفا فلما نفد الماء عطش اسمعيل عليه السلام وعطشت
امه فانقطع لبنها فاخذ اسمعيل كهيئة الموت فظنت انه
ميت فجزعت وخرجت على ان لا تراه على هذه الحالة وقالت
يموت وانا غايبة اهون علي وعسى الله ان يجعل لي خيرا في
ممشاي فانطلقت فنظرت الي جبل الصفا فاشرفت عليه
تستغيث ربها وتدعوه ثم نظرت الى المروة وسعت فيما
بينهما سعي الانسان المجهود وفعلت ذلك مرات وهذا
اول سعي بين الصفا والمروة وكان قبل الطوفان يطوفون
ولا يسعون بين الصفا والمروة ولهذا كان السعي من
المناسك كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن الاصح
ما ذكره القوم في قوله تعالى وارنا مناسكنا وان جبريل
عليه السلام علم ابراهيم السعي وفي هذه الحالة قد سمعت
صوتا فقالت ايها الصايت ان كان عندك غوث فاغثني وكان
الصايت جبريل عليه السلام فخرج الصوت يصوت بين
يديها وخرجت تتلوه وقد قويت نفسها حتى انتهى الصوت
عند اسمعيل عليه السلام ثم بدا لها جبريل فانطلق حتى
وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه او بجناحه مكان البير
فظهر الماء فوق الارض وجعلت ام اسمعيل تحظر الماء بالتراب



وتحوطه خشية ان يفوتها قبل ان تاتي بشنها وبادرت الى ابنها
فسقته قال بن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلي الله
عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم لكانت عينا
معينا فقال لها جبريل عليه السلام لا تخافي ان ينفد هذا الماء
وابشري فان ابنك سيشب وياتي ابوه من الشام فيبنون
ههنا بيتا ياتيه عباد الله تعالي من اقطار الارضين يلبين
الله تعالي وجل ثناؤه غبرا يطوفون به ويكون هذا الماء
شرابا لضيفان الله تعالي وقالت في جوابه بشرك الله بالخير
وقد ذكرنا ان العماليق كانوا في هذا الزمان في جانب
الفرقان وكان غلامان منهم يريدان بعيرا لهما اخطاهما فقد
عطشا واهلهما بعرفة فنظرا الي طير هوي قبل الكعبة
فاستنكرا ذلك فقالا اني يكون الطير تطير علي غير ماء فانبعا
الواردة منها حتي وقفا علي ابي قبيس فنظرا الي الماء والي
العريش فنزلا وكلما هاجر وسالاها متي نزلت فاخبرتهما وقالا
لمن هذا الماء فقالت لي ولابني فقالا من حفره فقالت سقانا
الله عز وجل فعرفا ان احدا لا يقدر علي ان يحفر هناك ماء
وعهدهما بها هناك قريب وليس به ماء فرجعا الي اهلهما
من ليلتهما فاخبراهم فتحولوا حتي نزلوا معهما علي الماء فانست
بهم ومعهم الذرية فنشا اسمعيل عليه السلام مع ولدانهم
وكان

وكان ابراهيم عليه السلام يزور هاجر في كل شهر علي براق يغدوا
غدوة فياتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام فلما نظر الي
من هناك من العماليق والي كثرتهم وعمارة الماء سر بذلك
ولما كانت حكاية اسمعيل عليه السلام مذكورة في القران
العظيم تركناها مخافة التطويل وفي الاكتفا ولما بلغ اسمعيل
عليه السلام مبلغ الرجال تزوج امراة من العمالقة وقصة ابراهيم
مع امراة اسمعيل مشهورة فلما بلغ اسمعيل ثلاثين سنة وقيل
عشرين وابراهيم يومئذ بن ماية سنة وهو بالشام اوحي
الله اليه ان ابن لي بيتا قال اين ابنيه فاوحي الله تعالي اليه
ان اتبع السكينة وهي ريح خجوج لها راسان شبيه الحية وفيها
اختلاف لكن المذكور في الحديث هذا فتبعها حتي اتيا مكة
فاستقرت السكينة علي موضع البيت ونادت بابراهيم ابن
علي مقدار ظلي فحفر ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وليس
معهما غيرهما وقيل بعث الله اليه سبعة املاك فحفرا اساس
البيت يريدان اساس ادم الاول فحفرا حول البيت فوجدا
صخارا عظاما كل صخرة لا يطيقها الا ثلاثون رجلا وحفرا حتي
بلغا اساس ادم وبنيا عليه وطوقت السكينة كانها سحابة
علي موضع البيت ولذلك لا يطوف بالبيت احد من الجبابرة الا
رايت عليه السكينة وبهذا التقريب لزم علينا بيان بناء

ادم عليه السلام لان هذا مبني عليه **وبيانه** على الاجمال
على ما روي ابو جهم انا ادم عليه السلام امر باساسه فجعل
ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اصابه الماء ونودي من تحته
حسبك يا ادم فبناه بصخر امثال النوق التي في بطنها اجنة
وامر الله تعالى الصخر ان يطيعها ثم نزل البيت من السما من
ذهب احمر او من ياقوته كما في بعض الرواية وكل به من الملايكة
سبعون الف ملك فوضعوه على اساس ادم عليه السلام
ونزل الركن وهو يومئذ درة بيضا فوضع موضعه اليوم
وطاف به ادم وصلى به ولما مات ادم عليه السلام وليه
من بعد ابيه شيث فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام
فلما كان الغرق يعني الطوفان بعث الله تعالى سبعين الف
ملك فرفعوه الى السما كي لا يصيبه الما النجس فبقيت
به قواعده وفي هذا التعليل كلام نبينه في تفسير الاية
ان شاء الله تعالى وفي بنا ادم عليه السلام روايات مختلفة
وحكايات كثيرة لكن الصحيح ما ذكرناه **وذكر بن هشام**
ان الما لم يصل الكعبة حين الطوفات ولكن قام حولها وبقيت
هي في هوا السماوات نوحا قال لاهل السفينة انكم في
حرم الله تعالى وحول بيته فاحرموا ولا يمس احد امراة فجعل

بينه

بينه وبين النسا حاجزا فتعدى حام فدعا عليه بان يسود
الله تعالى لون بنيه فاجابه الله تعالى على وفق ما دعاه
واسود سوس بن حام **قالوا** كان ابراهيم عليه السلام
يبني على هذه القواعد المذكورة واسمعيل ينقل على رقبته
ويناوله **وفي العرايس** كان ابراهيم عليه السلام عبرانيا
واسمعيل عربيا فعلم الله هذا لسان هذا فلما ارتفع البنا
قرب له المقام وكان ابراهيم يقوم عليه ويحوله
اسمعيل في نواحي البيت **واما القول** بانهما يبنيان في
الطرفين فبعيد لان المقام يكون تحت قدم ابراهيم عليه السلام
ويغير المقام لا يمكن ولو كان لكان لابراهيم عليه السلام اللهم الا
ان يقال يبنيان على التناوب ولاجل ذلك نسب رفع القواعد
اليهما في القران العظيم ان اريد منه الحقيقة حيث قال الله تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الاية **قال** في
انوار التنزيل واسمعيل كان يناوله الحجر لكنه لما كان له مدخل
في البنا عطف عليه في الاية **قال بن عباس** رضي الله عنهما
انما بني البيت من خمسة اجبل طور سينا وطور سينا هو
جبل في الشام وطور اضيف الى سينا وهو اسم شجر وكذلك
طور سينين قال الاخفش السينين شجر واحدها سينينة
ولبنان والجودي وهو جبل بالجزيرة ومن حرا ويروي غير هذا

فجعل طوله الى السما تسعة اذرع على اتفاق اهل الاخبار
لكن الاختلاف في عرضه بعضهم قال انه ثلاثين ذراعا وقيل
غير ذلك وادخل وهو سبعة اذرع في البيت وكان قبل
زربا للغنم اسمعيل ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا ملصقا
بالارض وحفر بيرا عند بابه خزانة الزرب والزربية حظيرة
الغنم للبيت يلقا فيها ما اهدي للبيت وسيجي تفصيل هذا
البير وكان اسم البير بيرا حسب فلما وصل البنا الى الركن
طلب ابراهيم حجرا فذهب اسمعيل الى الوادي يطلب حجرا
فنزل جبريل بالحجر الاسود وقد رفع الى السما حين غرقت
كما رفع البيت فوضعه ابراهيم موضع الركن وقيل كان في
ابي قبيس زمن الطوفان وكان الله جل ثناوه لما غرقت الارض
استودع ابا قبيس الركن وقال اذا رايت خليلي يبني لي بيتا
فاعط الركن ولذلك سمي في الجاهلية الامين لوفايه ما
استودعه الله اياه وفي الكشاف كان الحجر ياقوتة بيضا
من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود ويويده في بعض
الرواية فكان نوره يفني الى منتهى انصاب الحرم من كل
ناحية من نواحي الحرم فلا يخاح في الليل الى مفني اخر
وفي الاحاديث ان الحجر الاسود ياتي يوم القيامة وله يد
ولسان وعين لانه كان في الابتدا ملكا وفي بهجة الانوار
ان الحجر

ان الحجر الاسود كان في الابتدا ملكا صالحا لما خلق الله تعالى ادم
زينه واسكنه الجنة واباح له الجنة الا الشجرة التي نهاه الله عنها
وشرط معه واشهد على ذلك ملكا وذلك قوله تعالى ولقد
عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ثم جعل ذلك
الملك موكلا على ادم حتى لا ينسى عهد ربه عز وجل وكلما
يخطر بباله ان ياكل من الشجرة نهاه الملك وبتقدير الله تعالى
غاب عنه الملك فاخذ منها فطار عنه الحلل فاخرج من الجنة
فلما رجع الملك وجده قد نقض عهد ربه فنظر الله تعالى الى
ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرة انتهى وسيجي تمام اخبار
الحجر ان شاء الله تعالى ولولا خوف الاطالة لذكرت ما فيه من
الاحاديث الواردة فيه ويروى ان ذا القرنين قدم مكة
وهما يبنيان فقال ما هذا فقالا نحن عبدان ماموران بالبنا
فقال هاتا البينة فقامت خمسة اكبش فقلن نشهد ان
ابراهيم واسماعيل عبدان ماموران بالبنا فقال رضيت
وسلمت ومضى ويويده ما روي عن عطا بن السايب ان ذا
القرنين الاكبر قد حج ماشيا مع ابراهيم عليه السلام ولما
فرغ ابراهيم من بناء البيت جعل المقام ملاصقا بالبيت
عن يمين الداخل وامر الله تعالى يا ابراهيم اذن في الناس
بالحج فقال يا رب ما يبلغ صوتي فقال الله عز وجل اذن منك

الندا وعلي البلاغ فارتقي علي المقام وهو يوميذ ملصق بالبيت
فارتفع به المقام حتي كان كاطوال الجبال فنادي فادخل اصبعيه
في اذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا يقول يا ايها الناس كتب
عليكم الحج الي البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من تحت البحور
السبعة وبين المشرق والمغرب منقطع التراب من اطراف الارض
كلها لبيك اللهم لبيك افلا تراهم ياتون يلبون فمن حج من يوميذ
الي يوم القيامة فهو ممن استجاب الله عز وجل وسيجي بيانه
ايضا عند تفسير قوله تعالي فيه ايات بينات فلما فرغ
ابراهيم من الاذان ذهب به جبريل فاراه الصفا والمروة واقامه
علي حدود الحرم وامره ان ينصب عليها الحجارة الصفا والمروة
جبلان ولم يكن فيهما بنا ولا درج الي زمن جعفر فبني هو علي
الصفا اثني عشر درجة وعلي المروة خمس عشر درجة ولا باس
بان يذكر نبذة من احوال الحرم ايضا قالوا ان ادم عليه
السلام لما صار بمكة حرسها الله تعالي وحرس ذلك البيت
الذي نزل من السما بالملايكة يحرسونه ويمنعون عنه سكان
الارض وسكانها يوميذ الجن والشياطين فلا ينبغي لهم ان
ينظروا الي شي من الجنة لانه من ينظر الي شي من الجنة
وجبت له الجنة والارض يوميذ طاهرة نقية طيبة لم يتنجس
ولم يسفك فيها الدما ولم يعمل فيها الخطايا فمن اجل ذلك
جعلها

جعلها الله تعالي مستقر الملايكة وجعلهم فيها كما كانوا في السماء
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكان موقفهم علي اعلام الحرم
صفا واحدا مستديرا محيطا بالحرم والخلق كلهم من خلفهم والحرم
كله دونهم ووضعت الاعلام علي حسب مقام الملايكة فاول
من حدد الحرم ادم عليه السلام خوفا من الشياطين فحفت
ملايكة علي حدوده يمنع الشياطين فلما انطمست الاعلام وقت
الطوفان جا جبريل لابراهيم عليهما السلام يريه مواضعه ثم بعد
ذلك جدد قصي ثم امر النبي صلي الله عليه وسلم كعب بن
اسد بذلك ثم جدده عمر ثم عثمان ثم معاوية ثم عبد
الملك حج قال ابو جعفر الهنداوي مقدار الحرم من جانب
الشرق ستة اميال ومن الجانب الثاني اثني عشر ميلا ومن
الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الرابع اربعة وعشرون
ميلا وحده المحرر من طريق المدينة دون التنعيم عن بيوت
نفار علي ثلاثة اميال وحده من طريق اليمن طرف اضاة لبن
علي سبعة اميال وانما سمي جبل المقطع لانهم قطعوا احجار الكعبة
في زمن بن الزبير منه ومن طريق الجعرانة الجعرانة بكسر الجيم
وسكون العين وهو الاصح وقد تكسر العين وتشدد الرا وقال
الشافعي التشديد خطا كذا في القاموس في شعب ال عبد الله

ابن خالد على تسعة اميال ومن طريف الطايف على عرفات
من بطن نمره ومن طريف جده منقطع الاعشاش جمع عش
على عشرة اميال هكذا ذكر هذه الحدود ابو الوليد الازرقي
في كتاب تاريخ مكة فلما كان يوم السابع من ذي الحجه
خطب ابراهيم عليه السلام بمكة حين زاغت الشمس قايما
واسمعيل جالس ثم خرجا من الغد يمشيان على اقدامهما
يلبيان محرمان مع كل واحد منهما اداوة يحملها وعصا يتوكا
عليها فسمي ذلك يوم التروية فاتيا منى فصليا بها
الظهر والعصر والمغرب والعشا والصبح وكانا نزلا في جانب
الايمن ثم اقام حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج
يمشي هو واسماعيل حتى اتيا بعرفة وجبريل معهما يريهما
الاعلام حتى نزلا بنمرة وجعل يريه اعلام عرفات وقد
كان ابراهيم عليه السلام قد عرفها قبل ذلك فقال ابراهيم
قد عرفت فسميت عرفات وقيل غير ذلك فلما زاغت
الشمس خرج بهما حتى انتهى بهما الى موضع المسجد اليوم
فقام ابراهيم عليه السلام فتكلم بكلمات واسماعيل جالس
ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما الى الهضاب فقاما
على اقدامهما الى ان غابت الشمس وذهب الشعاع ثم
دفعا

ثم دفعا من عرفة على اقدامهما حتى انتهى الى جمع وهي المزدلفه
سمي بذلك لجمعهم بها بين المغرب والعشا فنزلا فصليا المغرب
والعشا في ذلك الموضع الذي يصلي فيه اليوم ثم باتا حتى اذا
طلع الفجر دفعا على ارجلهما حتى اتيا الى محسر فاسرعا حتى
قطعاه ثم عاد الى مشيهما الاول ثم رميا جمرة العقبه سبع
حصيات حملاها من جمع ثم نزلا من منى في الجانب الايمن
ثم ذبحا في المنحر اليوم وحلقا روسهما واقاما ايام منى يرميان
الجمار حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين راجعين وصدرا
يوم الصدور فصليا الظهر بالابطح وكل هذا يريه جبريل عليه
السلام وكل ذلك مذكور عند قوله تعالى وارنا مناسكنا
الايه قال ابو جهم فلما فرغ ابراهيم عليه السلام من الحج انطلق
الى منزله بالشام وكان يحج البيت كل عام وحج الانبيا عليهم
السلام روى الواقدي باسناد الى ابن عباس رضي الله
عنهما موسى عليه السلام بصفاح الروحا يلبي تجاوبه
الجبال عليه عباءتان قطوانيتان وحج الحواريون ايضا
ثم توفي خليل الله عليه السلام بعد فقال له ملك الموت
يا خليل الله على اي حال تحب ان اقبضك قال تقبضني وانا
ساجد فقبضه وهو ساجد فصعد بروحه الى الله عز وجل
ودفن ابراهيم عليه السلام بالشام وعاش اسمعيل عليه

عليه السلام بعد ابيه ما شاء الله تعالى وكانت ولاية البيت له
في ايام حياته وتوفي بمكة ودفن داخل الحجر مما يلي باب الكعبة
وهناك قبر امه هاجر وفي بحر العميق سال الفقيه *
اسمعيل الحضرمي الشيخ محب الدين الطبري الخضر الحنبلي
من الحجر اجاب الشيخ بان البلاطة الخضرا قبر اسمعيل عليه
السلام وبشبر من راس البلاطة الي ناحية الركن الغربي
مما يلي باب سهم وهو الذي يقال له اليوم باب العمرة فعند
انتهايها يكون راس اسمعيل عليه السلام ولما توفي اسماعيل
ولي البيت بعده ابنه نابت وقام مقامه ما شاء الله ان
يليه وكان اكبر اولاده وهم اثني عشر وامهم رعلة بنت
مضاض الجرهمي وقد ذكرنا ان العمالقة مع اولاد اسمعيل
فبني العمالقة البيت لان السيل دخل فيه هذا هو الصحيح
وبعضهم يقدم بناء الجرهم علي العمالقة وهو مخالف لما
رواه الثقات لانهم قالوا في سبب مجي جرهم الي الكعبة وكانت
العماليق هم ولاة الحكم في مكة فضيعوا حرمة الحرم *
واستحلوا منه امورا عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالوه فقام
فيهم رجل يقال له عمور فقال يا قوم اتقوا علي انفسكم
فقد رايتم من هلك من هذه الامم فلا تستخفوا بحرم الله
عز وجل وموضع نبيه فلم يقبلوا منه وتمادوا في هلكة

انفسهم

انفسهم فارسل الله عز وجل جرهما لاخراجهم ثم ان جرهما
وقطورا وهما ابناء هم خرجوا من اليمن سيارة بذراريهم
واموالهم فلما قدموا مكة راوا فيها معينا وشجرا ملتفا ونباتا
كثيرا وسعة من البلاد ودفاء في الشتا فقالوا ان هذا
الموضع يجمع لنا ما نريد فاعجبهم ونزلوا به وكانت عادتهم لا
يخرج من اليمن قوم الا ولهم ملك يقيم امرهم فكان مضاض
ابن عمرو علي قومه جرهم وكان علي قطورا السميدع بن
هو فنزل مضاض بجرهم علي اعلا مكة ونزل السميدع بقطورا
اسفل مكة فوقع النزاع بينهم وبين العمالقة وبعد امور
كثيرة اخرجوا العمالقة من الحرم كله فصاروا في طرفه لا يدخلونه
وجعل مضاض يعشر كل من جاء من اعلاها وكان السميدع
يعشر كل من يدخل من اسفلها وكانوا عربا وكان لسانهم
عربيا مخالفا للعمالقة واخذ اسمعيل عليه السلام بلسانهم
وهو يكون قول بن عباس مشكلا حيث قال اول من تكلم بالعربية
اسمعيل عليه السلام واجاب عنه بعضهم اول من تكلم *
بالعربية الفصيحة وهذا بعيد ايضا لان اسمعيل عليه السلام
ما اخذ الا لسانهم ولسانهم يومئذ ان كان فصيحا فلسانه ايضا
فصيح والا فلا اقول في دفع هذا الاشكال ان اول من تكلم

بالعربية من اولاد ابراهيم عليه السلام اسمعيل وهذا كما ترى
موافق لجميع الروايات فلما كثر جرهم عند اسمعيل عليه السلام
واختلطوا معه نظر اسمعيل الى رغلة بنت مضاض فاعجبته
فخطبها من ابيها فتزوجها وجاء منها الاولاد المذكورة وقصتها
مع سيدنا ابراهيم يذكر عند المقام ان شاء الله الملك العلام
ثم مات نابت فدفن في الحجر ايضا مع امه رغلة بنت مضاض
فولي البيت بعده جده مضاض بن نابت وبني اسمعيل
عنده ولما مات مضاض نفيت ولاية البيت في ايدي
اخوانه من جرهم فقاموا عليه وكانت جرهم ولاة البيت
وولاة الاحكام بمكة لغلبتهم وكان البيت قد دخل السيل
من اعلاه فانهدم فاعادته جرهم على بنا ابراهيم واسم الثاني
من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر على رواية المسعودي
وجعل للبيت مصراعين وقفلا ثم ان جرهما وقطورا بغي
بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها حتى نشب الحرب
بينهم على الملك وبنو اسمعيل وبنو نابت يومئذ مع
مضاض فلم يزل البغي بينهم حتى سار بعضهم الى بعض
فخرج مضاض من قيقعان ومع كتيبة عدتها من الرماح
والدرقا والسيوف والجعاب تقعقع معه وفي رواية ما
سمي

سمي قيقعان الا لذلك وخرج السميدع بقطورا من اجياد
ومعه الخيل الجياد والرجال وما سمي الاجياد الا لخروج الخيل
الجياد مع السميدع منه على الاصح قال بن اسحاق فالتقوا
بفاضح فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل السميدع وفضحت
قطورا وما سمي فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا
الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ وهي شعب باعلى مكة
يقال له شعب عبد الله بن عامر فنزلوا بذلك الشعب
فاصطلحوا به واسلموا الامر الى مضاض فلما جمع الله له
امر مكة نحر للناس واطبخ للناس واكلوا ما سميت المطابخ
الا لذلك على رواية وكان الذي بين مضاض والسميدع
اول بغي كان بمكة على زعم بعض فقال مضاض الحرب
بذكر السميدع وقتله وبغيه والشماتة ما ليس به ٭
ونحن قتلنا سيد الحي عنوة ٭ فاصبح فيها وهو ٭
السكنا ولانه تحامي منه من انانا وتدفع ٭ ثم ان
جرهما بغوا بمكة ايضا واستخفوا بامر الحرم فقام مضاض
الاصغر فيهم خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فانه لا بقاء
لاهله فقد رايتم من كان قبلكم من العمالقة فانكم ان فعلتم
ذلك يخاف عليكم ان تخرجوا منه خروج ذل وصغار فقال رجل

اسمه مخدع من الذي بحجبنا منه السنا اعز العرب واكثرهم
رجالا واموالا وسلاحا وقال مضاض الاصغر اذا جاء الا
مر من عند الله تعالي بطل ما يقولون فلم يقصروا شيا
مما كانوا يصنعون وكان للبيت خزانة بير في بطنها
كما مر بيانه يلقي فيها الحلي والمتاع الذي يهدي له وهو
يومئذ لا سقف له كما سبق وتواعدوا يومئذ خمسة نفر
من جرهم ان يسرقوا ما فيه فقام علي كل زاوية من البيت
رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله عز وجل اعلاه اسفله
وسقط فهلك وفر الاربعة قال بعض اهل التوارخ
ان جرهما لما طغت في الحرم دخل رجل منهم يقال له اساف
ابن سهيل وامراة يقال لها نايله بنت عمر البيت ففجرا
فيه فمسخهما الله تعالي حجرين فاخرجا من الكعبة فنصبا
علي الصفا والمروة ليعتبر بهما من راهما وليزدجر الناس
عن مثل ما ارتكبا ثم لم يزل امرهما يندرس ويتقادم حتي
صارا صنمين يعبدان قال بعض اهل التوارخ دعا
الناس الي عبادتهما لكن الصحيح ان الذي وضعه عمرو
هو هبل وسيجي هنا تفصيله ولم يزلا يعبدان
ويستلمهما الطايف اذا فرغ حتي كان يوم الفتح فكسروا

فلما

فلما وصل امر جرهم الي خمسماية وقيل ستماية سنة بغوا
بمكة ايضا واستحلوا دلالا من الحرمة وظلموا من دخل
من غيرها واكلوا مال الكعبة الذي يهدي لها الملوك قال
المسعودي في اخبار الفرس وكانت الفرس تهدي الي
الكعبة اموالا كثيرة في صدر الزمان وقد كان ساسان
ابن بابك وقيل اسفندبار اهدي غزالين من ذهب
وجواهر وسيوفا فدفن في زمزم وسيجي بيانه ان
شاء الله وكان ملكهم يومئذ عمرو بن الحارث بن مضاض
الاصغر فلما رات بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان
من خزاعة بفتح الغين المعجمة وضمها وهو سليم بن عمرو
ابن لوي ذلك اجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فاذنوا
بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من
مكة وتفصيل ذلك لا يليق بهذه الرسالة فلما ايس عمرو
من مكة خرج بغزالي مكة وبحجر الركن فدفنا في زمزم لئلا
تقع في يد الخصم فقال عمرو بن الحارث في وقت خروجه من
مكة شعرا

كان لم يكن بين الحجون الي الصفا • انيس ولم يسمر بمكة • سامر •
ولكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بذاك البيت • والخير ظاهر •



بل نحن كنا اهلها فازتنا صروف الليالي والجدود العوائر

فانكح جدي خير شخص علمته فابناوه منا ونحن الاصاهر

وفي سبب خروج جرهم من مكة روايات كثيرة والصحيح ما
ذكرناه كما قاله ابن اسحق وامامقتضي صحة قول الحارث
ابن مضاض الجرهمي حيث قال اللهم ان جرهما عبادك والناس
طرف وهم تلادك فمبني على ما نقل بن عباس رضي الله
عنهما قال كان الملك من الملائكة اذا اذنب ذنبا عظيما
اهبط الى الارض ونزعت عنه روحانية الملائكة وجعل
في خلق بني ادم فاذنب ملك من الملائكة يقال له عذرا
فكان في الهوى ثم هبط مكة فتزوج امراة من العماليق
فولدت جرهما انتهى فلما ملكت بنو كنانة امر مكة
توالدوا وتناسلوا فيها وفي كنانة نور رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه من نسل اسماعيل عليه السلام فتزوج
كنانة ريحانة فولدت له نضرا وهو القريشي واسمه
قيس وانما سمي النضر لنضارة وجهه وجماله وفي
دخاير العقبى ام النضر برة بنت مرة اخت تميم فهي
ثالثة عشرة من الجدات الابويات للنبي صلى الله عليه وسلم
فتميم اخوال قريش لان قريشا من النضر تفرشت فتزوج
هند

هند بنت عدوان فولدت له مالكا فتزوج مالك خدلت بنت
حارث الجرهمي فولدت له فهرا وعند البعض ان القريش
انها تفرقت منه فتزوج سلمى بنت سعد بن هذيل فولدت
غالبا فتزوج غالب وحشية بنت مدلج فولدت لوي فتزوج
سلمى بنت محارب فولدت له كعبا وكان يوم الجمعة تسمى العروبة
فكعب اول من سماه الجمعة لاجتماع قومه اليه فيخطبهم ويذكرهم
بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان كعب هذا اعظم القدر
في العرب وارخوا موته اعظاما له الى عام الفيل وكان بين
موته والفيل فيما ذكروا خمسمائة وست وعشرون سنة
على المختار فتزوج كعب وحشية بنت شيبان بن محارب فولدت
له مرة فتزوج مرة نعماء بنت سرير فولدت له كلابا واسمه
حكيم سئل اعرابي لما تسمون اولادكم بشر الاسما ككلب
وذيب وعبيدكم باحسن الاسما نحو مرزوق ورباح فقال
انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا فتزوج كلاب
فاطمة بنت سعد فولدت له قصيا واسمه زيد ونور رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضع فيه ويسمى مجمعا لما جمع
القريش قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وقريش اذ ذاك بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة
وانما سمي قصيا بتصغير قصي لتقصيه اي تبعده عن
بلاد قومه في بلاد قضاعة مع امه فاطمة بنت سعد فاقام
قصي مع امه في ارض قضاعة ثم خرج مع حاج قضاعة حتي
قدم مكة الي قومه وكان قصي شابا جميلا ورجلا جالدا
وعالما بالامور وفي هذا الزمان كان امر مكة لخزاعة
دون بني بكر فوليت خزاعة البيت بتوارثون كابرا
عن كابر حتي كان اخرهم خليل بن حبشية علي لفظ المنسوب
الي الحبشة فتزوج قصي ابنته حبا وولدت اربع بنين
عبد الدار وعبد مناف وعبد العزي وعبد المناه فلما
انتشروا اولاد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك
خليل وراى قصي انه اولي بالكعبة من خزاعة وبني بكر
لانه من نسل اسماعيل وقومه ايضا منهم وكلم رجالا
من قريش وبني كنانة ودعاهم الي اخراج خزاعة وبني بكر
عن مكة فاجابوه الي ذلك فاقتتلوا قتالا شديدا بالابطح
حتي كثر القتلي في الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الي الصلح
والي ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا العمرو بن
عوف فقضي بينهم ان قصيا اولي بالكعبة من خزاعة
وبني بكر

وبني بكر وكانت اليه الحجابه والرفادة واللواوة واللوا وقيل
في سبب ولاية قصي ان سدانة الكعبة قبل قريش كانت
لرجل من خزاعة يقال له ابو غبشان كما سبق فاجتمع مع
قصي في شرب بالطايف فاسكره قصي ثم اشتري البيت
منه بزق خمر واشهد عليه ودفع الي ابنه عبد الدار وطيره
الي مكة فلما افاق ابو غبشان ندم علي البيع وقومه عابوه
عليه بجحد البيع وضرب به الامثال فقالوا اخسر من صفقة
ابي غبشان فوقع الحرب بينهم لاجل هذا لكن الاول اصح
لان اخذ قصي المفتاح بالسيف اولي من قال الشاعر •
• ابو غبشان اظلم من قصي • واظلم من فهر خزاعة •
• فلا تلوموا قصيا في شراه • ولوموا اشيخكم اذا كان باعه •
والحكاية طويلة لكن مقصودنا بنا البيت ولاجل ذلك
اختصرنا فلما كان امر الكعبة لقصي بني الكعبة وسقفها
بخشب الدوم وجريد النخل كذا في شفا الغرام واتخذ لنفسه
دار الندوة قيل كانت في جهة الحجر والميزاب عند المقام الحنفي
اليوم وهي اول دار بنيت بمكة وكانت قريش لا يتشاورون
في امر نزل بهم الا في هذه الدار وانما سميت دار الندوة
لاجتماع الندي فيها يتشاورون ويبرمون امورهم

والذي الجماعة يتندون اي يتحدثون وروي الازرقي ان
معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه حج وهو خليفة فاشتري
دار الندوة من بن الرهين العبدري بماية الف درهم وان
دار الندوة صارت كلها في المسجد الحرام فلما مات قصي
دفن بالحجون فتدافن الناس بعده وبني في جانبه الشمال
فلما استقر امر الكعبة لقريش ورثوه كابرا عن كابر حتي
وصل الامر الي عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وقيل عامر
ووجه التسمية بعبد المطلب مشهورة وكان سيد القومه
فيقال له الفياض لجوده قال بن قتيبه يرفع مايدة عبد
المطلب للطيور لذلك سموه مطعم الطير وفي زمنه ظهرت
زمزم لانه قد ذكرنا فيما سبق ان عمرو بن الحارث الجرهمي
لما خرج من مكة تهوا دفن الغزالين وبعض الامتعة في
زمزم فطمها وفر الي اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك
العهد مجهولا الي زمن عبد المطلب وفي رواية ان زمزم
بقيت منطمة بعد عهد جرهم زها خمساية سنة لا يعرف
مكانها الي ان بلغت نوبة حكومة مكة ورياسة اهلها عبد
المطلب وفي سيرة بن هشام قال عبد المطلب اني لنايم
في الحجر اذ اتاني ات فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة
ثم ذهب

ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاني
فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد
رجعت الي مضجعي فنمت فيه فقال احفر المصبوبه فقلت
وما المصبوبة ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الي
مضجعي فنمت فيه فجاني وقال احفر زمزم قلت وما زمزم
قال تنزف ابدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي
بين الفرث والدم عند نقر الغراب الاعصم ذكر الحاكم في
المستدرك انه ابيض البطن وقيل احمر المنقار والرجلين
وفي هذه الرويا طرق كثيره لكن الاعتماد على ما قررناه
قال بن اسحق فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس
له يوميذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب الا عصم
ينقر عندها بين الوثنين اساف ونايلة الذين كانت
قريش تنحر عندهما ذبايحها فجا بالمعول وقام ليحفر
حيث امر فقامت اليه قريش فقالوا والله ما نتركك تحفر
بين الوثنين فحفر عندهما ونازعوه اشد النزاع حتي
نذر عبد المطلب لين ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه
حتي يمنعوه وسهل الله له حفر زمزم لينحرن احدهم
لله عند الكعبة فلما عرفوا انه غير فارغ خلوا بينه

وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطين
فكبر وعرف الصدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين
المذكورين ووجد فيها اسيافا وادراعا كما مر ذكرهما
فقالت قريش له يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة وحق
قال لا ولكن هلم الى امر ينصف بيني وبينكم يضرب عليها
بالقداح وقالوا كيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي
قدحين ولكم قدحين ومن يتخلى قدحاه فلا شي له قالوا
انصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبه وقدحين اسودين
لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوا صاحب
القداح الذي يضرب بها عند هبل وهو صنم في جوف
الكعبة وسيجي بيانه ان شاء الله تعالى وقام عبد
المطلب يدعو الله تعالى وضرب صاحب القداح فخرج
الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودات
على الاسياف لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش وعلق
الغزالين بالكعبة وهو اول معاليق بالكعبة في
الجاهلية وكانا معلقين مدة حتى سرقوهما وقصته
ان جماعة من قريش كانوا في ليلة من الليالي يشربون
الخمر ومعهم المغنيات فلما فنيت اسباب طربهم عمدوا
الى باب

الى باب الكعبة وسرقوا الغزالين وباعوهما من تجار قدموا
مكة بالخمر وغيرها فاشتروا بثمنهما جميع ما في التجر بالمرة
واشتغلوا بالطرب واللهو شهرا ولم يدر من سرق حتى
مر عباس بن عبد المطلب في ليلة من الليالي بباب الدار
التي تلك الجماعة فيها فسمع المغنيات يغنين بقصة سرقة
الغزالين من باب الكعبة وبيعهما من اهل القافلة فاخبر
العباس قريشا فاخذوهم وضربوهم ومعهم ابو لهب وقطعوا
ايدي بعضهم ثم ان عبد المطلب اقام سقاية زمزم للحاج
وافتخرت بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى ساير العرب
وكانت لعبد المطلب ابل كثير اذا كان الموسم جمعها ثم سقى
لبنها بالعسل في حوض من ادم عند زمزم ويشتري الزبيب
فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظة ماء زمزم
وكانت اذ ذاك غليظة جدا وكانت السقاية له وبعده
لابنه العباس وكان للعباس رضي الله عنه كرم بالطايف وينبذ
ذلك كله ويسقيه للحاج ايام الموسم وكانت الحجابة يومئذ
لبني عبد الدار كما سبق والقيادة لبني عبد شمس وكانت
قريش قبل حفر زمزم احفرت بيارا بمكة من جملتها الطوي
حفرها عبد شمس والبدر والسنبلة والرم ولوخوف

التطويل لذكرت كلها ثم ان قريشا لما راوا في البيت وهنا قصدوا
بناءه وسبب ذلك علي ما قاله بن اسحق كانت الكعبة في
عهد قريش رجمة فوق القامة ولم يكن مسقفة يعني انهم لم
سقفه ايضا لانه كان بالسقف في بناء قصي كما مر وقد
ذكرنا ان فيه بيرا يكون فيها اموال الكعبة فدخلها قوم ليلا
فسرقوها وقيل كانت امراة منهم تجمرت الكعبة فطارت شرارة
من مجمرها فتعلقت بثياب الكعبة من ذلك فهابوا انهدامه
وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين وفي هذا الزمان من
عجايب صنع الله حية تخرج كل يوم من بير الكعبة التي يطرح
فيها ما يهدي لها فتشرف علي جدار الكعبة وكانت مما
يهابونها وذلك كان لا يدنوا منها احد الا وفتحت فاها وكانوا
يخافوها فاخروا البنا لاجلها فبينا هي ذات يوم تشرف
علي جدار الكعبة بعث الله عليها الطاير فاختطفها فذهب
بها وفي حياة الحيوان الثعبان الذي كان في جوف الكعبة
اختطفه العقاب حين اراد قريش بناء البيت وان الطاير
حين اختطفها القاها بالمجون فالتقمتها دابة الارض فهي
الدابة التي تخرج عند الصفا في اخر الزمان فقالت قريش انا
لنرجوا ان يكون الله قد رضي ما اردنا فقال لهم الوليد بن المغيرة

يا قوم

يا قوم السنتم تريدون بناها قالوا بلي قال فان الله لا يهلك
المصلحين ولكن لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم الا من طيب
اموالكم وجنبوه عن غيره فان الله طيب وبعد ذلك قصدوا
البناء وكان البحر قد القي سفينة الي جده من تجار الروم
فاشترت قريش خشبها فاعدوها لسقفها وكان بمكة
رجل قبطي نجارا اسمه باقوم القبطي على رواية وكان بنار
حاذقا فقالوا لو بنينا بيت ربنا وقدم باقوم معهم فامروا
بالحجارة فجمعت ورسول الله صلي الله عليه وسلم يوميذ
ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به بن اسحق وكان
صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة ثم ان قريشا جزات
الكعبة واقترعوا عليها فكان شق الباب لبني عبد مناف
وبني زهره وكان بين الركن الاسود والركن اليماني لبني
مخزوم وتيم وظهر الكعبة لبني سهم وشق الحجر لبني عبد
الدار ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا فقال لهم الوليد بن
المغيرة انا ابداكم في هدمها فاخذ المعول فقام عليها فقال
اللهم لا نريد الا الخير فهدم من ناحية الركنين فتربص الناس
تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيا
ورددناها كما كانت فان لم يصبه شي فقد رضي الله تعالي

بما صنعنا هدمنا فاصبح الوليد من ليلته عاديا علي عمله فهدم
وهدم الناس معه حتي اذا انتهي الهدم بهم الي اساس ابراهيم
عليه السلام فوصلوا الي حجارة خضر كاسنمة الابل علي رواية فادخل
الوليد بن المغيرة عتله بين حجرين منها انفلقت منه فلقة فاخذها
ابو وهب بن عمرو فبعدت من يده حتي عادت مكانها وطارت
من تحتها برقة كادت ان تخطف الابصار وفي رواية فلما تحرك
الحجر رجفت مكة باسرها فلما راوا ذلك امسكوا عن ان ينظروا
الي تحت ذلك فبنوا علي ذلك ثم قلت بهم النفقة او قلت
الاخشاب فلم نبلغ عمارة البيت كلها فتشاوروا في ذلك
فاجمع رايهم علي ان يقصروا من قواعد ابراهيم ويعمروا ما يقدرون
عليه من بناء البيت ويتركون بقيته في الحجر ويبني عليه
جدار مدار يطوف الناس من ورايه ففعلوا ذلك وبنوا في
بطن الكعبة اساسا يبنون عليه من شق الحجر وتركوا من
ورايه من فنا البيت سبعة اذرع فلما وضعوا ايديهم في
بنايها قال لهم حذيفة بن المغيرة ارفعوا بابها من الارض
حتي لا يدخلها السيول ولا يرقي الا بسلم ولا يدخلها الا من اردتم
ثم اجعلوا طولها الي السما ثمانية عشر ذراعا علي ما ذكره بن
هشام فلما بلغوا موضع الركن الاسود اختصمت قريش في ان
اي القبايل

اي القبايل يلي رفعه وكثر الكلام فمكثت قريش علي ذلك اربع ليالي
فاقتضى الحال بينهم ان يحكموا واتفقوا علي ان اول رجل يدخل
من باب بني شيبة يكون هو الذي يضعه موضعه فاذا رسول
الله صلي الله عليه وسلم قد دخل منه وفي رواية قالوا اول
من يطلع من هذا الفج فطلع رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالوا هذا امين قد رضينا بحكمه ثم اخبروه الخبر فبسط رداه
ثم وضع الحجر الاسود فيه ثم امر سيد كل قوم ان ياخذ طرفا من
الثوب ثم قال ارفعوا ففعلوا حتي بلغوا به موضعه وضعه هو
بيده ثم بني عليه ثم سقفوا البيت وجعلوا فيه ست دعايم
في صفين كل صف ثلاث دعايم وجعلوا درجة من خشب
في بطنها في الركن الشامي يصعدون فيها الي ظهرها
وجعلوا في دعايمها صور الانبيا والملايكة ولما كان يوم
الفتح امر النبي صلي الله عليه وسلم بطمس تلك الصور
فجعلوا لها بابا واحدا يغلق ويفتح وكانوا قد خرجوا بما كان في
البيت من حلية ومال وجعلوا عند ابي طلحة واخرجوا هبل
عند المقام كما كان ذلك حتي فرغوا من بناء البيت وربطوا
ذلك المال في الجب ونصبوا هبل مكانه كما كان قبل ذلك وهو
فوق البير داخل البيت كما ذكرناه وضعه عمرو بن لحي وكان
عمرو شريفا في قومه مطاعا وسافر الي جانب الشام فدخل

فرا قوما من العمالقة يعبدون الاصنام فسال عنهم فاجابوا بانه
لما كان لهم امر منهم يطلبون معهم الاعانة فطلب عمرو من
العمالقة واحدا من هذه الاصنام فوهبوا له هبل فجاء به
الي مكة فوضعه في البيت وهو من اعظم اصنامهم فوضعوا
حول البيت ثلاثمائة وستين صنما علي ما ذكر في المواهب
اللدنية وفي رواية ابي نعيم قد الزقها الشياطين بالرصاص
والنحاس وصوروا ايضا في الكعبة صورة ابراهيم واسمعيل
في ايديهما الازلام وسيجي بيان هذه الاصنام فلما تم
بنا الكعبة كسوها حبرات يمانية والكسوة قبل ذلك قباطي
وهي ثياب بيض من كتان قال ابن جريج اول من كسا البيت
تبع اري في المنام ان يكسوها فكساها الانطاع ثم اري ان
يكسوها الوصايل ثياب حبرة وفي الوفاء اسم تبع الذي
كسا الكعبة اسعد وكان مومنا فلما انتقل امر الكعبة الي
قريش فعلوا ما فعلوا من هتك حرمة البيت ومن وضع
الاصنام في البيت كما فعلوا من قبله بعث الله رسوله
بالهدي وبالسيف المنتضي اي المسلول واخرج رسول
الله صلي الله عليه وسلم قريشا من الكعبة وقتل صناديد هم
وفتح مكة عنوة كما هو مذكور في الكتب وكسر اصنامهم
وطهر البيت من دنس الكفار روي انه عليه السلام
لما قدم

لما قدم مكة ابي ان يدخل البيت وفيه الاصنام فامر بها فاخرجت
واخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل وفي ايديهما الازلام فقال
قاتلهم الله لقد علموا انهما ما استقسما بها قط ثم دخل البيت
فكبر في نواحي البيت ولم يصل وفي رواية صلي فيه قال ابن
عباس رضي الله عنهما ولما نزل يوم الفتح قوله تعالي جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء جبريل وقال
لرسول الله صلي الله عليه وسلم خذ مخصرتك واقرا هذه الاية
مشيرا الي الاصنام بالمخصرة فجاء النبي صلي الله عليه وسلم
فاشار بها الي الاصنام يقول جاء الحق وزهق الباطل فنكست
الصنم المشار اليه بوجهه حتي القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من قوارير وقال يا علي ارم به فحمله عليه حتي صعد
ورمي به حتي تكسر فجعل اهل مكة يتعجبون وفي شواهد النبوة
سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عليا حين صعد علي
منكبيه كيف تراك قال علي رضي الله عنه اراني كان الحجب قد
ارتفعت ويخيل الي اني لو شئت لنلت افق السما فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم طوبي لك تعمل للحق وطوبي لي احمل
للحق قال الطبري اخرجه احمد ورواه الترمذي والصالحاني
ثم ان عليا رضي الله عنه اراد ان ينزل فالقي نفسه من صوب
الميزاب تادبا وشفقة علي النبي صلي الله عليه وسلم ولما وقع

علي الارض تبسم فساله صلى الله عليه وسلم عن تبسمه قال اني
القيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما اصابني الم قال كيف
يصيبك الم وقد رفعك محمد وانزلك جبريل وقد اشار واحد من
الشعرا الي هذه القصة في مدح علي رضي الله عنه شعرا

قيل لي قل في علي مدحا • ذكره يخمد نارا موصده
قلت لا اقدم في مدح امرئ • ضل ذو اللب الي ان عبده
والنبي المصطفى قال لنا • ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده • فاحس القلب ان قد برده
وعلي واضع اقدامه • في محل وضع الله يده

وكان حجابة البيت يومئذ لعثمان بن طلحة ويقال له الحجبي
ويعرفون الان بالشيبيين نسبة الي شيبة بن عثمان
وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان
سلافة قالوا انه اسلم قبل الفتح في المدينة مع خالد بن الوليد
وقيل علي الكفر وفيه تفصيل تركته مخافة التطويل وفي
الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح
الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي
صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس
فاغلظت له فحلم علي ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا
المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت

قريش

قريش يومئذ وذلت فقال عمرت وعزت يومئذ فلما كان يوم
الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فاتيته فاخذه مني ثم دفعه
الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ياخذها منكم الا ظالم يا عثمان
ان الله تعالى استامنكم علي بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا
البيت بالمعروف فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال لي الم يكن
ذكرت لك قال فذكرت القصة المذكورة وفي التيسير ان هذه
الاية اي ان الله يامركم ان تودوا الامانات الي اهلها نزلت
في عثمان بن طلحة رضي الله عنه لانه عليه الصلاة والسلام
اراد ان يدفعه الي العباس او الي علي رضي الله عنهما وفي
المواهب اللدنية فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا
البيت او لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في
في اولاد عثمان وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الي اخيه
لعدم ولده كما ذكروا والمفتاح والسدانة في اولادهم الي
يوم القيامة ثم كسا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة
ثيابا يمانيا وكساها ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
قباطيا من مصر وكساها معاوية رضي الله عنه وكانت تكسى
يوم عاشورا قبل معاوية وفي زمن معاوية يكسوها في السنة
مرتين حتى وصل الامر الي ابن الزبير ويكني ابا بكر امه اسما
ذات النطاقين بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو



اول مولود ولد للمهاجرين في المدينة وكان قد صحب النبي صلى الله
عليه وسلم وهو صبي وحفظ عنه احاديث فمات النبي صلى الله
عليه وسلم وله تسع سنين وبويع له بالخلافة بمكة لسبع بقين
من رجب سنة اربع وستين في ايام يزيد بن معاوية فلما سمع
يزيد دعوى الخلافة منه ارسل لحربه مسلم بن عقبة وقتل
مسلم في المدينة خلقا كثيرا من المهاجرين والانصار وقصته
طويلة ثم سار الى مكة ولما كان بالمشلل مات ودفن فيها لعنة
الله عليه ثم نبش وصلب هناك وكان يرجى كما يرجى قبر ابي
رغال دليل ابرهة المدفون بالمغمس فاقام على عسكره ✻
حصين بن نمير فلما وصل حصين الى مكة قاتلوا الحصين اياما
وتحصن بن الزبير في المسجد حول الكعبة تضرب خياما
لئلا يصيبه حجارة المنجنيق وكان الحصين على ابي قبيس
وعلى الاحمر يرميهم بالحجارة وتصيب الكعبة فاوهنت واحتر قت
الكعبة واحترق فيها قرن الكبش الذي فدي به اسمعيل عليه
السلام ودام الحرب حتى فرج الله عن بن الزبير لوصول نعي يزيد
ابن معاوية والقصة طويلة لكن المقصود بناء البيت في زمنه
فلما راى بن الزبير وهن جدران البيت من الحرق وحجارة المنجنيق
اراد ان يهدمه ويبنيه وسبب اقدامه على ذلك حديث
خالته عايشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لها

قال لها لولا ان قومك حديث عهد بالكفر لنقضت الكعبة ✻
وادخلت فيها ستة اذرع من الحجر ولجعلت لها بابين بابا
يدخل الناس منه وبابا يخرجون ولالصقت بابها بالارض
ثم ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما شاور مع اهل
مكة في الهدم والبنا فوافقه على ذلك نفر قليل منهم جابر
ابن عبد الله وجبير بن عمير وكره ذلك نفر كثير منهم عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهم فلما اجتمع على اهل هدمها خرج
كثير من اهل مكة الى منى فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم
عذاب بسبب هدمها فامر بن الزبير جماعة من الحبشة ✻
فهدمها رجا ان يكون فيهم الذي اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم انه يهدمها وسيجي اخباره عليه السلام عند بيان
بناء الحجاج وكان هدم بن الزبير لها يوم السبت النصف من
جمادى الاخر سنة اربع وستين وفي رواية لما امر ابن
الزبير بهدمها ما اجترا على ذلك احد فلما راى ذلك علاها
هو بنفسه واخذ المعول وجعل يهدمها فلما راوا انه لا يصيبه
شي اجتروا قال يزيد بن رومان شهدت بن الزبير حين
الهدم وقد راينا اساس ابرهيم كاسنمة الابل فقال ابن
الزبير زيدوا فلما زادوا بلغوا هوا من نار تلقاهم فقال ما لكم
قالوا لسنا نستطيع ان نزيد راينا امرا عظيما فقال لهم ابنوا

عليه وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون
الي موضعها وجعل الحجر الاسود في صندوق عنده وقفل عليه
وكان قد انكسر بذلك ثرق من الحريق فانشظت منه شظية
كانت عند بعض ال شيبه بدهر طويل فشده بن الزبير بالفضة
من اعلاها بين موضعها الي اعلا الركن الانك الشظية وجعل
لها بابين شرقي وغربي يدخل من الشرقي ويخرج من الغربي
وادخل فيها مانقصته قريش من الحجر وزاد في طولها الي السما
تسعة اذرع اخري فصار ارتفاعها سبعا وعشرين ذراعا
ولما فرغ من بنايها خلقه من داخلها ومن خارجها من اعلاها
الي اسفلها بالمسك والعنبر وكساها القباطي ثم اجتمع علي
طاعته اهل الحجاز واهل اليمن والعراق والخراسان ومدة
خلافته ثمان سنين متوالية وفيها حج ثمان حجج فلما انتقلت
دولة بني امية الي عبد الملك بن مروان منع الناس عن الحج
مخافة ان يبايعوا لابن الزبير فارسل الي حربه الحجاج بن يوسف
الثقفي في سنة اثنين وسبعين او ثلاث وسبعين ونزل
الطايف بعسكره وبعث خيلا الي عرفة وبعث بن الزبير ايضا
خيلا الي عرفة فيقتتلون بها فينهزم خيل بن الزبير ويعود
خيل الحجاج بالظفر ثم نزل الحجاج بير ميمون ومعه خمسة
الاف ونيل سبعة الاف من اهل الشام فحاصروه وكان ابتداء

حصار

حصار الحجاج له ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنين وسبعين
من الهجرة قال بن جرير حاصره ستة اشهر والح عليه بالقتال
من جانب حتى نصب المنجنيق علي ابي قبيس ورمى الكعبة
بالحجارة والنيران حتى تعلقت باستار الكعبة واشتعلت جارت
سحابة من نحو نجد مرتفعة يسمع منها الرعد ويري فيها البرق
واستوت فوق الكعبة فما جاوز سطرها الكعبة والمطاف
فاطفات النار وسال الميزاب في الحجر ثم عدلت لابي قبيس
فرمت بالصاعقة واحترقت منجنيقهم فاحرقت تحتها اربعة
رجال فقال الحجاج لايهولنكم هذا فانها ارض صواعق فارسل
الله تعالى صاعقة اخري فاحرقت المنجنيق واحرقت معه
اربعين رجلا وذلك في سنة ثلاث وسبعين فامسك
وكتب بذلك الي عبد الملك فامر بالقتال ايضا والقصة طويلة
اكتفينا بهذا القدر لتكون مقدمة لبناء الحجاج وحاصله فلم
يزل الحجاج يحاصرونه الي ان قتلوه في النصف من جمادي
الاخر سنة ثلاث وسبعين وهو بن اثنين وسبعين سنة
فلما قتل صلب بعد قتله على الثنية اليمني بالحجون وبعث
براسه لعبد الملك تطيف به في البلدان ويقول الفقير
الي عفو ربه لعل حصول هذه الحالة لعبد الله بن الزبير انما
كانت لاجل اقدامه على هدم البيت وحصول الوهن للبيت
فان سببه ايضا كما ذكر وهذا امر لم يفعله الخلفا الراشدون

مع علمهم بهذا الحديث خصوصا في زمن عمر رضي الله عنه مع طول
مدة خلافته وقوة الاسلام وكثرة الفتوحات وكثرة المغانم في زمنه
انتهى ثمرات الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير
زاد في الكعبة ما ليس منها واحدث فيها بابا اخر واستاذنوا في
رد ذلك على ما كان عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك ان
يسد بابها الغربي فيهدم ما زاد فيها ابن الزبير وفي تشويق
المساجد ان الحجاج هدم الكعبة وبناها ولم يغير طولها الى السما
ونقص طولها في الارض مما يلي الحجر ستة اذرع وشبرا وسعة
تركها في الحجر وبناها على اساس قريش فالدرجة التي في بطنها
اليوم والباب الذي عليها اليوم هما من عمل الحجاج واستمرت
الكعبة الى يومنا هذا ابنا الحجاج وينبغي هذا البنا الى ان
يخربها الحبشة وتقلعها حجرا حجرا كما ورد في الحديث وفي خبر اخر
يجي الحبشة ويخربونها خرابا لا يعمر بعده ابدا وفي المستدرك
للحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتحجن البيت ولتعمرن
بعد خروج ياجوج وماجوج وقول اكثر العلما انه لا يغير يروى
ان الخليفة هارون الرشيد وقيل ابوه المهدي اراد ان يغير ما
صنعه الحجاج فنهاه عن ذلك الامام مالك بن انس فقال يا امير
المومنين لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك ثم ان الحجاج كساها
الديباج وهو اول من كساها بالديباج وقد ذكرنا كسوة

بن الزبير

ابن الزبير ايضا ثم كان المامون يكسوها ثلاث مرات الديباج
الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض
يوم سبع وعشرين رمضان في سنة ست ومايتين ثم في
دولة الترك كستها امراة يقال لها شجرة الدر بالديباج الاسود
وهذه الكسوة موجودة في زماننا وتفصيل حكاية شجرة
الدر لا يليق بهذه الرسالة المختصرة ولهذا تركت لا باس بان
نذكر نبذة من احوال الحجر ايضا ليعرف الناس حرمته عند الله
تعالى وقد ذكرنا ان ابن الزبير وضع الحجر موضعه بنفسه في رواية
وكان منكسرا وجعله محكما بالفضة فلما اصابت النار في وقعة
الحجاج زاد تفرقه وقد ذكرنا ايضا ان الحجاج لم يتعرض لجانب
الركن الذي فيه الحجر فبقي على هذه الحالة حتى حج هارون
الرشيد فراى ان الفضة تقلقلت جوف الحجر فخاف عليه
ان ينقص فامر بالثقب بالماس من فوق الحجارة ومن تحتها
ثم افرغ فيها الفضة وذلك سنة تسع وثمانين ومائة
ثم ظهر القرامطة في خلافة المقتدر بالله من العباسية
وذلك في سنة سبع عشر وثلثماية ورئيسهم ابو طاهر
القرمطي منسوب الى رجل يقال له احمد بن قرمط
والقصة طويلة خلاصتها انهم دخلوا مكة ونهبوا الحجاج
وفعلوا فيها امورا منكرة حتى ان بعضا منهم ضرب الحجر الا

سود

بدبوس فكسره فقلعه وقيل قلعه جعفر بن علاج البنا بامر ابي
طاهر لعنة الله عليه واصعد رجلا من اصحابه ليقلع الميزاب ايضا لانه
مطلي بالفضة وسيجي بيانه ايضا فتردي ومات واخذ الملعون
اسباب اهل مكة والحجاج وانصرف ومعه الحجر الاسود وعلقه
علي الاسطوانه السابعة من الجانب الغربي من جامع الكوفة
ظنا منه ان الحج ينتقل الي الكوفة ثم حمل الي بلده هجر وبقي عند
القرامطه اثنين وعشرين سنة روي انه لما اخذه القرامطة
هلك تحته اربعون جملا واعيد بجمل واحد وبقي موضع الحجر
في الكعبة خاليا مدة بقايه عند القرامطه يضع الناس فيه
ايديهم للتبرك وقيل ان ابا طاهر باعه من المقتدر بالله
بثلاثين الف دينار واعيد الي موضعه من البيت في خلافة
المطيع لله لخمس خلون من ذي الحجه سنه تسع وثلاثين
وثلاثمايه وفي هذا روايات كثيرة الاقرب هذه ثم بعد
ذلك علي ما رواه المسبحي قلع الحجبة الحجر الاسود وجعلوه في
خوفا
الكعبة عليه واحبوا ان يجعلوا له طوقا من فضة يشد به كما
كان قديما حين وضعه بن الزبير فاخذ في عمله صانعان
حاذقان فعملا له طوقا من فضة واحكماه ونقل المسبحي
عن محمد بن نافع الخزاعي ان مبلغ ما علي الحجر من الطوق وغيره
ثلاثة الاف وسبعمايه ونسعون درهما وهذه الحلية غير
حلية

حلية الحجر الاسود وغيره ثلاثة الان داود بن عيسي الحسني
امير مكة اخذ طوق الحجر قبل عزله من مكة في سنة خمس وثمانين
وخمسماية علي ما ذكره ابو شامه ولم يتحقق ان الحجر الاسود
قلع من موضعه بعد رد القرامطة وفي سنة ثلاث عشرة
واربعماية ضربه رجل من الملاحدة بدبوس ثلاث ضربات بهم
فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات فتساقطت منه قطعة مثل
الاظفار فاقام الحجر علي ذلك يومين ثم ان بني شيبه جمعوا
الفتات وعجنوها بالمسك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء
من ذلك وفي هذا الزمان يري ذلك في وجه الحجر وفي الايضاح
واما الحجر فهو محيط مدور علي صورة نصف دايرة وهو خارج
من جدار البيت في صوب الشام وهو كله او بعضه من
البيت ولا باس بان يذكر ايضا طرفا اخر من جدران البيت
الشريف ومن توابعها ليكون كالتتمة للمقدمة وفي ايضاح
النووي وغيره الكعبة اليوم طولها اربعة وعشرون ذراعا وربع
ذراع واما طولها في الارض وهو ما بين الركن الاسود الي
الركن العراقي يلي باب الحجر الذي يلي المقام فخمسة وعشرون
ذراعا وبين اليماني والاسود فعشرون ذراعا وبين
الشامي والعراقي احدي وعشرون ذراعا قال صاحب
الخميس وجدت بعضها مخالفا في الايضاح وفي تشويف

واما عرضها وهو ما بين الركن [illegible] الغربي [illegible]

المساجد وعرض جدار الكعبة ذراعين ولها سقفان احدهما فوق
الاخر وفيها ثلاثة اعمدة مصطفة على طولها الملها من خشب
الساج كما مر وعرض الباب اربعة اذرع وارتفاع الباب في
الجدار الشرقي والباب من خشب الساج وطوله الى السما
ستة اذرع وعشرة اصابع والباب في الجدار الشرقي والباب
من خشب الساج مضبب بصفايح من فضة انتهى اقول
وهذه الفضة من عمل الوليد بن عبد الملك بعث الى واليه
على مكة خالد بن عبد الله القشيري بستة وثلاثين الف دينار
فضرب منها على باب الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة
وعلى الاساطين التي في بطنها واما ما كان على الباب من عمل
الوليد فبقي الى ان رق وتفرق فرفع ذلك الى المعتصم بالله محمد
ابن الرشيد في خلافته فارسل الى سالم بن الجراح عامله على
مكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفايح على باب الكعبة
فقلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها الثمانية عشر
الف دينار فضرب عليها الصفايح التي عليه اليوم فالذي على
الباب من الذهب ثلاثة وثلاثون الف مثقال كذا ذكره صاحب
الخميس وحلقتا الباب والقبة كلها من عمل امير المومنين
المعتصم محمد بن الرشيد وعمل وليد بن عبد الملك ايضا
الرخام الاصفر والابيض والاحمر في بطنها وفرشها بالرخام
فجميع

فجميع ما في الكعبة من الرخام من عمل الوليد بن عبد الملك وهو اول
من فرشها بالرخام ثم جدد الرخام في دولة الاتراك والجراكسة
قال شيخ الاسلام العسقلاني في فتح الباري وقع الترميم في
جدران الكعبة وفي سقفها وفي سلم سطحها وجدد الرخام
فيها اخر الترميم في سنة اربع عشرة وثمانماية واما شاذروان
الكعبة زادها الله تعالى شرفا وهو بفتح الذال المعجمة وسكون
الراء فهو الاحجار الملاصقة بجدار الكعبة عليها البنا القصير
المرخم من جوانبها الثلاثة الشرقي والغربي واليماني وبعض
حجارة الجانب الشرقي لا بنا عليه وهو شاذروان ايضا واما
الاحجار الملاصقة بجدار الكعبة الذي يلي الحجر فليس بشاذروان
لان موضعها من الكعبة بلا ريب كما بينه في شفا الغرام فلا بد
من هذا البنيان حتى يتضح الاختلاف بين سادتنا الحنفية
والشافعية في ان الشاذروان ليس من الكعبة عند ائمتنا
الحنفية واما سبب بنا الشاذروان المذكور ان قريشا لما
رفعت الاساس مقدار ثلاث اصابع من وجه الارض نقصوا
عرض الجدار عن الاساس لضرورة اقتضت ذلك وبنوا عليه
هذا البنا المسنم من المرخم وقد ذكرنا بعض خبر الحجر عند ذكر
بناء ابراهيم عليه السلام وتفصيله على ما ذكره الازرقي

في تاريخ مكة الحجر ما بين الركن الشامي والعراقي وارضه مفروشة
برخام وهو مستور بالشاذروان وان الذي تحت الكعبة انتهى
ولا يخفى عليك ان ما ذكره الازرقي من قوله بالشاذروان الذي
تحت الازار مشكل لانه اطلق عليه الشاذروان فاذا لا يكون
لاختلاف الايمة وجها لانه قد سبق في كلام صاحب شفا
الغرام انه من الكعبة بلا ريب فتدبر واما عرض الحجر من
الجدار الذي تحت الميزاب الي جدار الحجر سبعة عشر ذراعا
وثمان اصابع وذراع ما بين بابي الحجر عشرون ذراعا وارتفاع
الحجر من الارض ذراعين وتدوير الحجر من خارجه اربعة واربعون
ذراعا واربع اصابع واما خبر عمارة الحجر روي ان المنصور
العباسي لما حج دعا زياد بن عبيد الله الحارثي امير مكة فقال
اني رايت الحجر حجارته بادية فلا اصبحن حتى يصير جدار الحجر
بالرخام فدعا زياد العمال فعملوا علي السراج قبل ان يصبح
وكان ذلك مبنيا بحجارة البادية ليس عليه رخام وكان ذلك
في سنة احدى واربعين ومائة ثم ان ابنه المهدي قد جدده
في سنة احدى وستين ومائة واما الحطيم علي ما ذكره ابن
جريج ما بين الركن الاسود والمقام وزمزم حجر يسمى حطيما
لان الناس يزدحمون على الدعاء فيه والدعا فيه مستجاب
وقيل من حلف فيه انما عجلت عقوبته وروي اشيا كثيرة
من ناس

من ناس كثيرة عجلت عقوبتهم باليمين الكاذبة فيه وفي شفا
الغرام فيه قبر تسعة وتسعين نبيا وعن مقاتل منهم
هود وصالح واسمعيل عليهم السلام واما الملتزم وهو ما بين
الحجر الاسود والباب عرضه اربعة اذرع وست اصابع والمستجار
وهو ما بين الركن اليماني الي الباب المسدود في ظهر الكعبة
مماثلا للملتزم اربعة اذرع وخمس اصابع ويسمى ذلك المو ضع
مستجارا من الذنوب واما المسجد الحرام فكان فناء حول
الكعبة للطائفين ولم يكن له في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به وانما كانت
الدور محدقة به وبين الدور ابواب يدخل الناس منها
من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وكثر الناس وسع المسجد اشترى دورا فهدمها وادخل
فيه ثم احاط عليه جدارا قصيرا دون القامة وكانت المصا بيح
توضع عليه ثم عثمان رضي الله عنه ابتاع المنازل وادخلها
فيه ثم ابن الزبير رضي الله عنهما اشترى دورا من جملتها
بعض دار الازرقي اشترى ذلك البعض بعشرة الاف
دينار وادخلها فيه ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع
المسجد وحمل اليه اعمدة الرخام والحجارة ثم زاد المهدي
بعده مرتين وفي بحر العميق حج المهدي امير المومنين سنة

سنين ومائة وامر باساطين الرخام فنقلت بالسفن من الشام حتى
انزلت بجدة انتهى واما عدد اساطين المسجد الحرام على
ما ذكره الازرقي اربعمائة واربعة وثمانين هذا اخر بحث يتعلق
ببنا البيت الشريف ونريد تحسين هذه الخاتمة بحديث نبينا
عليه الصلاة والسلام خاتم الانبيا والمرسلين الواقع في فضايل
الطواف بهذا البيت الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كمن اعتق رقبة رواه ابن
ماجه وفي رسالة الحسن البصري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من دخل البيت دخل في رحمة الله وفي حمى
الله وفي امن الله ومن خرج خرج مغفورا له وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فاوضه يعني الركن الاسود
فانما يفاوض يد الرحمن رواه ابن ماجه عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل
سبعون ملكا يعني للركن اليماني فمن قال اللهم اني اسالك
العفو والعافية في الدنيا والاخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين وهذا وقد
تمت المقدمة بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم

وهذه

هذه المقالة في تفسير قوله تعالى ان اول بيت
وضع للناس قال بعض الفضلاء في وجه مناسبة هذه
الاية لما قبلها ان هذا شروع في بعض كفرهم ببعض اخر من
شعاير ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات
حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم
من الكعبة فنزل ان اول بيت انتهى فيه بحث لا شك ان
المفهوم من الايات السابقة انهم انكروا ما حرم الله عليهم من
الطيبات وانكروا قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر ولا ريب ان هذا كفر صريح واما المفهوم من هذه الاية
الشريفة انهم قالوا ان بيت المقدس افضل واولى من مكة
شرفها الله تعالى ولا شك انه ليس بكفر لانه ما ورد نص على
افضلية البيت الحرام من البيت المقدس حتى يكون دعوى
الافضلية منهم كفرا لانكار النص بل مجرد زعم اليهود رد الله
تعالى عليهم هذا الزعم ومع ذلك قد عظم نبي الله صلى الله
عليه وسلم بيت المقدس واتخذه قبلة كالكعبة في اوايل
الاسلام وهذا الجائزي ليس بوجه اصلا بل الوجه ان
هذه الاية الشريفة كالتفصيل لقوله تعالى قبل ذلك
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وذلك انه تعالى لما امرهم باتباع

ملة ابراهيم بين لهم كيفية الاتباع وذلك الاتباع لا يتم الا
بزيارة بيته الذي وضع للناس هدى واتباع مناسك
ومشاهدة الايات فيه منها مقام ابراهيم الذي امرنا
باتباع ملته نعم يمكن ان يكون الاول وجها صحيحا ايضا
اذا قررناه بوجه اخر غير الذي ذكره وذلك ان مجادلة
اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم انما كانت لاجل
جواز فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجوز في دينكم
ايضا وهو مصرح في التوراة وفي القران ايضا لان كل
المطعومات كان حلا لاكلكم ثم حرم بعضها بسبب بغيكم
فانكروا وجوده في التوراة فقال الله لنبيه قل فاتوا
بالتوراة الاية وهذه المجادلة كانت وقت تحول القبلة
من بيت المقدس الى الكعبة فقالوا بيت المقدس قبلة
الانبيا فلا يجوز تحويلها الى الكعبة بناء على عدم جواز
النسخ وح يكون كفرا لانهم انكروا تحويل القبلة وهو ثابت
بالنص هذا هو المفهوم من كلام صاحب الكشاف في
تفسير الايات السابقة وفيه وجه بعيد ذكره بعض الفضلا
وهو ان اليهود والنصارى زعم كل فرقة منهم انهم على
ملة ابراهيم عليه السلام وقد ثبتت هذه المناظرة في
الاية

في الاية المتقدمة فالله تعالى بين كذبهم من حيث ان حج
الكعبة كان ملة ابراهيم عليه السلام واليهود والنصارى
لا يحجون فدل هذا على كذبهم في ذلك انتهى ولا يخفى
عليك انه يكون وجها لنزول الاية لا وجه المناسبة بين
هذه الاية وبين الاية التي قبلها واول فيه معنى التفضيل
وان لم يكن له فعل من لزوم الفعل في اسم التفضيل لان
اصله زيادة على اصل الفعل تقول هذا اول من هذا وهو
اولهم بالاضافة كاستعمال افعل التفضيل فهو اول رجل
بالاضافة ايضا والواحد هنا في معنى الجمع كقولك اول
الرجال ولكونه افعل التفضيل جرى على الواحد والجمع كما
جاء في التنزيل ولا تكونوا اول كافر به ولتجدنهم احرص
الناس على حياة وتقول قعلت هذا عاما اول على الوصف
وعام الاول على الاضافة وقوله اي رجل دخل في مكة
اول قبله كذا مبني على الضم كما في من قبل هذا مذهب
البصريين وقال الكوفيون وزنه فوعل كان اصله
وول فنقلوا الهمزة الى موضع الفا ثم ادغموا الواو في
الواو وهو عندهم من قولهم وال اي نجا كان في الاولية
نجاة والصحيح مذهب البصريين لقولهم اول من كذا

ولقولهم في مونثه اولة كذا في اقليد شرح المفصل قال الواحدي
في تفسير هذه الاية معنى الاول في اللغة ابتداء الشي قال
الزجاجي ثم يجوز ان يكون له ثان ويجوز ان لا يكون كما تقول هذا
اول ما كسبته جايز ان يكون مرادك هذا ابتدا الكسبي انتهى
قال النووي في تهذيبه بشرط ان لا يتقدم عليه غيره انتهى
قلت ويظهر من هذا ان الاول لا يقتضي الثاني وانه لا يجوز
تقدم شي عليه وفرعوا على الوجه الاول مسايل من الفقه
منها انه اذا قال اول عبد اشتريه فهو حر فاشتري عبدا عتق
فان لم يملك بعده عبدا اخر لان الاول اسم لفرد سابق فان
اشتري عبدين جمعا ثم اخر لم يعتق واحد منهم لانعدام التفرد
في الاولين والسبق في الثالث فانعدمت الاولية كذا في
الهداية ومنها ما ذكره النووي في تهذيبه اذا قال لزوجته
ان كان اول ولد تلدينه من هذا الحمل ذكرا فانت طالق
فولدت ذكرا ولم يكن غيره اتفق اصحابنا على انه يقع الطلاق
وليس من شرط الاول ان يكون بعده اخر انما الشرط ان
لا يتقدم عليه غيره صرح بذلك صاحب التلويح حيث قال
الاول هو السابق على الجميع وبهذا اسقط ما قيل كون
البيت اولا في الوصف على رواية تقتضي ان له ثانيا فهذا
يقتضي

يقتضي ان يكون بيت المقدس من يشاركه في هذه الصفات
التي منها وجوب حجة ومعلوم انه ليس كذلك واما القول
بان المراد اول ما وضع لعبادة الناس وبيت المقدس يشاركه
في كونه بيتا موضوعا للطاعات بدليل قوله عليه السلام
لا يشد الرحال الا الى ثلاث مساجد الحديث فليس
بشي لعدم الاحتياج الى هذا التكلف فانهم وعلى هذا الوجه
الثاني يحتمل ان يكون المراد من الاول كونه اولا في الوضع
والبنا او ان يكون المراد كونه اول في كونه مباركا وهدى
اي متعبدا للناس ورجح بعض العلما الاحتمال الاول
بدليل ما روي عن مجاهد انه قال خلق الله البيت قبل
ان يخلق شيا من الارض بالفي عام وان قواعده لفي الارض
السابعة السفلى وروي ايضا ان الله تعالى بعث ملايكة
فقال ابنوا لي في الارض بيتا كما ذكرناه في المقدمة وحا صله
ان الشرط الثاني متحقق في هذه الاية وهو عدم سبق
فرد من افراد البيت وقال صاحب الكشاف ايضا وقيل هو
اول بيت بناه ادم في الارض انتهى وظهر من كلامهم ان
البيت المذكور في الاية هو هذا البيت القديم السابق على
كل افراد البيوت لا البيت الذي بناه ابراهيم عليه السلام لان
في زمنه بيوت كثيرة فلا يتحقق الاولية اقول وهذا كما

تراه مشكلات قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم صرح
في ان المراد من البيت بيت الذي بناه ابراهيم عليه السلام لان
ضمير فيه راجع الى البيت المذكور وظاهره ان مقام ابراهيم
ليس بموجود في بناء الملايكة ولا في بناء ادم عليه السلام
فكيف يصح ارادته فتدبر ورجح بعض العلما الاحتمال الثاني
بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
فقيل كم بينهما قال اربعون سنة وما روي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا
قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا
فيه الهدى والرحمة كذا في الكشاف وغيره انتهى خلاصة
انه اول باعتبار اوصافه المذكورة ولم يسبق له فرد من
افراد البيوت بهذا الاعتبار اقول فيه اشكال لان الاول
ان البيت الذي بناه الملايكة والبيت الذي بناه ادم على ما
ذكرناه في المقدمة متعبد للناس وفيه الرحمة والهدى لانه
حج ادم وساير الناس وحج شيث النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا لما سبق ذكره في المقدمة فيلزم عدم التعدد باعتبار
هذه الاوصاف ايضا والثاني ان بين بنا ابراهيم عليه السلام
وبين بنا بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام على
ما ذكره

ما ذكره اصل التواريخ اكثر من الف سنة فاذا اردت كشف
القناع عن ذلك فانظر تاريخ القدس والوجه عندي ما
نقله صاحب الكشاف عن ابن عباس انه قال اول بيت حج
بعد الطوفان فيستفهم به المعنى الاول بلا كلام ولا اشكال
بيت في اللغة اسم لمبنى له جدار اربعة من حجر وغيره وسقف
واطلاقه على الكعبة بحسب اللغة لا بحسب العرف وكذلك
في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
يدل على ذلك قول الفقها ومن حلف لا يدخل بيتا فدخل
الكعبة او المسجد لم يحنث لانهما لا تدخلان تحت اسم البيت
في العادة لانه اسم لما بات فيه وهما لم يبنيا للبيتوتة
ويطلق عليه اسم البيت بلا سقف ايضا كما في قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا والعرصة ليست بداخلة
فيه بخلاف الدار ولاجل ذلك قال اصحابنا ومن حلف لا يدخل
هذه الدار فدخل بعد ما انهدمت وصارت صحرا حنث وعليه
قول لبيد عفت الديار محلها ومقامها بمنى تابد غولها فرجامها
وضع للناس واللام متعلقة بوضع وهي للتعليل قال
القاضي اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم اقول يختص
الوضع بهذا المعنى اما ماخوذ من قوله تعالى هدى للعالمين
وذلك ظاهر او من قوله تعالى للناس معناه لجميع الناس



وكون البيت مشتركا بين جميع الناس لا يحصل الا اذا كان البيت
موضع للطاعات والعبادات وقبلة لهم قال صاحب الكشاف
وتبعه القاضي وغيره الواضع هو الله تعالي ويدل عليه انه
قراي للبنا للفاعل فيه بحث وهو ان هذه القراة انما تدل
علي انه هو الله اذا اردنا من الاوليه اولية بنا البيت عند خلق
السموات والارض كما ذكرناه انفا لانه يتعين ان الواضع هو
الله في ذلك الوقت لا غير واما اذا قلنا ان الاولية بالنسبة
لادم او بالنسبة الي ابراهيم كما هو الاصح يحتمل ان يراد منه
ابراهيم عليه السلام سواء قرا علي بناء المعلوم او المجهول صرح
بذلك الشيخ برهان الدين السفاقسي وابو حيان في اعراب
القران حيث قال قراة الجمهور وضع مبنيا للمفعول وقراة
عكرمة مبنيا للفاعل فيحتمل ان يعود ضمير الفاعل على الله
تعالي وان يعود علي ابراهيم وهو اقرب في الذكر وموافق
لحديث ابي ذر انتهي ولا شك ان كلامهما يدل علي الراجح
ارجاعه الي ابراهيم على كلا التقديرين فليتامل فان قيل
ما وجه اضافة البيت الي ذاته تعالي مرة في قوله ان طهر
بيتي للطايفين واضافته الي الناس اخري في هذه الاية
اجاب بعض الفضلا عنه اما اضافته الي ذاته تعالي فعلي
سبيل التعظيم والتشريف كقوله تعالي ناقة الله واما
اضافته

اضافته ههنا الي الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم انتهي
ولا يخفي عليك انه لا يصلح ان يكون وجها لان الكلام في
قصد التعظيم هناك وتركه هنا لا في بيان وجه الاضا
فة الي نفسه تعالي حتي يقال انه للتعظيم كما لا يخفي علي
المتفطن بل الوجه فيه الله اعلم ومنه التوفيق انما اضا
ف الي ذاته لتعظيم البيت وذلك التعظيم يفيد الاهتمام في
امر التطهير لابراهيم واسمعيل عليهما السلام لانه
اذا كان البيت بيت ربهما فامر ربهما بتطهيره ولا شك
ان الامر ح غاية الاهتمام ولاجل هذا قصد التعظيم هناك
بخلاف ما نحن فيه لان المقصود هنا بيان اوليته وبيان
كونه هدي فافهم فانه من سوانح فكري للذي ببكة خبر ان
اي للبيت الذي في بكة اللام للتاكيد في خبر ان نزكر المو
صوف للتفخيم واخبر هنا عن النكرة وهي اول بيت لتخصيصها
بالاضافة وبالصفة وهي وضع ويحسن الاخبار عن النكرة
اذا اختص بمن كقولهم ان قريبا منك زيد ولقبر التخصيص
ايضا بعد دخول ان كقول الشاعر
وان حراما ان اسب مجاشعا ۰ باباي الشم الكرام الحضا ۰ رم
والاصل في ذلك ان الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف
احوال مثال الاول قوله تعالي حتي تنزل علينا كتابا نقراه

ومثال الثاني قوله عز وجل لا تقربوا الصلاة وانتم سكاري **ببكة**
جاء ذكرها في القران العظيم بكة بالبا، ومكة كما في قوله تعالي ببطن
مكة بالميم فقال جماعة من العلما كصاحب الكشاف وغيره هما
لغتان بمعني واحد وتبديل الميم بالباء لقرب المخرج شايع في كلامهم
كقوله دايم ودايب وراتم وراتب ومقصودهم ان هذا كالقياس
عندهم والا لا يفيد **واما المثال** بالنبيط والنميط وان كان
فيه ما يدل علي المطلوب لكن فيه تبديل اخر زايد علي ما نحن فيه
كما لا يخفي وقال اخرون هنا بمعنيين واختلفوا علي هذا فقيل
مكه الحرم كله وبكة بالبا المسجد خاصة وهو المروي عن الزهري
وقيل مكة البلد وبكة البيت وموضع الطواف ذكره النووي
وغيره وانت خبير انه خارج عن الصواب بل لا يري فيه الصحة
اصلا لان الظرفية المذكورة في هذه الاية تمنعه كما لا يخفي
علي من له ادني مسكة ولهذا البيت اسما كثيرة ذكرها النووي
ولا شك ان كثرة الاسما تدل علي عظم المسمي والمذكور في القران
منها اربعة ام القري ومكة وبكة والكعبة اما وجه الاول فلانه
اصل القري كلها لانها دحيت من تحت الكعبة كما هو مذكور
في بعض الروايات واما وجه التسمية بالثاني والثالث
فهو مذكور في الكشاف وغيره واما وجه التسميه بالكعبة
فلارتفاعه وتربعه وكل بيت مربع عند العرب فهو كعبة ذكره
الازهري

الازهري ونقل ايضا الكعب في لغة العرب اسم لما استدار وعلا
ولذلك قالوا الكعب ثدي الجارية اذا علا واستدار نقله
النووي وغيره والظاهر ان الاول اولي لان يكون وجها
لان وضع البيت الشريف ليس علي الاستدارة بل هو
ذات اضلاع اربعة وهو المسمي عند اهل الهندسة المربع
وهو متشكل تحيط به خطوط اربعة مستقيمة كل خط
يقع علي اخر مستقيم علي زاوية قايمة بخلاف المثلث لانه
يمتنع فيه ان يكون الزوايات الثلاث علي قايمتين وسمعت
من استاذي جواز مثلث يكون زوايات الثلث علي قايمة
اذا فرض علي كرة كما في الزواية المفروضة علي كرة العالم
والمربع علي اقسام منها ما يكون اضلاعه الاربعة غير
متساوية كما في هذا البيت الشريف لان ضلعه الشامي
الي الغربي اثنين وعشرون ذراعا ومن الضلع الغربي الي
اليماني اربعة وعشرون وشبر ومن اليماني الي الحجر الاسود
واحد وعشرون ذراعا وشبر كما ذكروا وان كان فيه اختلاف
العلما وسمعت عن بعض الثقات ان ابراهيم عليه السلام
بني هذا البيت الشريف علي صورة فرع المقدم وهو
الثاني من كواكب القوس طوله باوش وعرضه يطم وهو
علي صورة المربع المذكور وكان ابراهيم عليه السلام

مطلعا علي اسرار ملكوت السموات كما قال الله تعالي وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات الاية ولا بد فعه ما ذكرناه في
المقدمة من انه عليه السلام بناه على مقدار السكينة لان
المفهوم منه تعيين المكان لا تعيين الشكل فافهم ولبنايه على صورة
الفرع المقدم اسرار لا يطلع لها الا الماهر في علم الفلك ولا شك ان
مكة من الاقليم الثاني وعرضها كعرض البلد بعده عن معدل النهار
وطوله وهو بعده عن جزاير الخالدات او من سلحل بحر الغرب
ولا شك ايضا انها ليست من ابتدا الاقليم الثاني لان العرض هناك
عشرون درجة ولا من وسط اقليم الثاني لان عرضه اربع وعشرون
بل هي قريبة الي ابتدايه لان اطول النهار هناك ثلاث عشره ساعة
وخمس عشرة دقيقة قال البيضاوي في هذا المحل وقيل كان في
موضع هذا البيت قبل ادم بيت يقال له ضراح يطوف به الملايكة
فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الي السما الرابعة يطوف به الملايكة من السموات وهو لا يلايم
ظاهر الاية انتهي قيل في وجه عدم الملايمة في ظاهر الاية انه
لا يكون الوضع للناس بل للملايكة وانما قال ظاهر الاية لانه يمكن
ان يقال طواف الملايكة لا يقتضي ان يكون الوضع لهم بل يجوز ان
يكون الوضع للناس كما يدل عليه الامر بادم بان يطوف غايته
ان الملايكة يحرسونه ويطوفون به الي ان يجي الموضوع له من
الناس

الناس انتهي ولا يخفي عليك ان هذا وجه صحيح اذا احمل ظاهر الاية
علي هذا لكن قد سبق في المقدمة منا في تفسير الاول ان المانع
لاطلاق البيت المذكور علي انفراد قوله تعالي فيه ايات بينات
مقام ابراهيم لان من المعلوم ان ليس فيه مقام ابراهيم فافهم
وزاد البعض في هذا الجواب ان موضع التشريف هو تلك الجهة
المعينة والجهة لا يمكن رفعها انتهي وانت خبير ان هذه الضميمة
خارجة عما نحن بصدده بل هذا الكلام متعلق برفع الضراح لا
بحمل البيت علي الضراح كما لا يخفي علي من له ادني فطنه ونقل
الامام فخر الدين الرازي وغيره عن البيضاوي في حق الضراح
انه قال ان الذي يقال من انه رفع زمان الطوفان الي السما
فعند ذلك كان موضع التشريف هو تلك الجهة المعينة والجهة
لا يمكن رفعها الي السما الا تري ان الكعبة والعياذ بالله لو انهدمت
ونقل الاحجار والاشجار والتراب الي موضع اخر لم يكن له شرف
البينية ويكون شرف الجهة باقية بعد الانهدام فاذا لا فايدة في
نقل تلك الجدران الي السما فاجاب الامام عنه بانه لما صارت
تلك الاجسام في العزة الي حيث امر الله بنقلها الي السما وانما
حصلت لها هذه العزة بسبب انها كانت حاصلة في تلك الجهة صار
نقلها الي السما من اعظم الدلايل علي غاية تعظيم هذه الجهة
انتهي خلاصة بيان فايدة الرفع وهي تعظيم الضراح بسبب وقوعه

في تلك الجهة المعظمة فاذا لم يمكن رفع الجهة للتعظيم رفع ما فيها
لاجل اظهار تعظيم تلك الجهة هذا انما يستقيم بعد تسليم ان
هذا الرفع للضراح للتعظيم وذلك ممنوع لجواز ان يكون رفعه الى
السما لاجل طواف الملايكة في السموات لان وضعه اولا في السما
وما كان انزاله الى الارض الا لاجل ادم فلما انقطع ادم ونسله من
الارض لاجل الطوفان تبقى خاليا عن الطواف والزوار رفع الى مكانه
الاول وهذا هو الحاسم لمادة الاشكال كما لا يخفى واما القول بانه
انما رفع لئلا يتنجس بما الطوفان كما ذكرناه في المقدمة فغير
صحيح لان الحكم بنجاسة ملح البحر العظيم المحيط بالعالم باطل في الشرع
وكذلك التعليل بانه لئلا يقع تحت الملح لان ما الطوفان ما استر مكان
البيت للتعظيم كما ذكرناه في المقدمة مباركا وهدى فالان متعددان
لازمان متقارنان موسسان اما كونهما حالان فلانهما مبينان
الهيئة ولكونهما من المشتقات لان حق الحال الاشتقاق وحق
التمييز الجمود وقد يتعاكسان واما كونهما متعددان لان
عاملهما واحد كما سنبينه بعد ذلك في قول الشاعر •
• علي اذا ما زرت ليلى بخفية • زيارة بيت الله رجلان حافيا •
هذا عند من يجوز تعدد الحال واما عند من لا يجوز فهما
من قبيل المتداخلة عنده في قولهم جاء زيد راكبا ضاحكا ذكره
ابن هشام واما كونهما متقارنان لان هذين الوصفين ليسا
في المستقبل

لازمان لان البركة والهدى لا ينفكان عن هذا البيت الشريف منذ خلقه الله تعالى:
واما كونهما [illegible]

في المستقبل حتى يكون من المقدرة كما في قوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين روسكم ومقصرين
واما كونهما موسسان لان معناهما لا يستفاد عما قبلها كما في
قوله تعالى ولى مدبرا فانه يكون حالا موسسة وهما حالان من
الضمير المستكن في وضع والعامل فيهما وضع عنده يجوز الفصل
بين الحال وعاملها باجنبي لان قوله ببكة فاصل بين الحال وعاملها
واختاره صاحب المدارك ومن يجد حذفه وقالوا اذا جاز الفصل
بين الفعل ومرفوعه كقوله شجاك اظن ربع الظاعنين فالحال
اولى به واما اضمار وضع بعد الخبر فلا وجه له فليتأمل وذهب البعض
الى ان يكون العامل فيهما العامل ببكة وهو استقر كما ذهب اليه الزمخشري
والبيضاوي والرازي ولا يخفى عليك ان الاول اولى خصوصا اذا
كان الواضع هو الله تعالى فتدبر واما نقل عن الزجاج من جواز
رفع هدى على انه خبر مبتدا فغير سديد ايضا لان فيه تكلف
الاضمار بلا ضرورة اللهم الا ان يجوز تعدد الحال فح يجوز المصير
اليه للضرورة هذا ما عندي في هذا المقام واظن انه كاف في
كشف المرام والتوفيق من الله الملك العلام والبركة لها معنيان
احدهما النمو والتزايد والاخر الثبات والدوام ذكرهما الجوهري
وغيره والفعل منه بارك على محمد فتختص بعلى وهو متعد ومنه

ان بورک من في النار واما بارک علي محمد فبتضمين معنی ماتعدي
بعلي وبارک لازم وكثرة النفع في البيت الشريف والخير ظاهرة
وعلى الاول ايضا ورد قوله تعالي تبارک الذي نزل الفرقان
بمعني تزايد خيره وتكاثر وفسر صاحب الكشاف بقوله اي
تزايد عن كل شي وتعالي عنه في صفاته وافعاله انتهي ولم
يذكر معني الدوام مع انه تعالي هو الدايم وماذلک بمرجوحية
هذا المعني وكذلک في قوله تعالي رب انزلني منزلا مباركا اي
يبارک له فيه ويعطيه الزيادة في الدارين وهذا المعني هو
المشهور بين المفسرين وحمل البعض في الاية المذكورة علي
المعني الثاني ايضا كالامام الرازي واني قال الرازي
لانه لاينفک الكعبة من الطايفين والركع السجود ولايخفی
مافيه واما حمله علي دوام بنا البيت ففيه بعد ايضا لان
تجدد بنا البيت مرة بعد مرة اخری ينافيه وقال ايضا
معناه الدوام يقال تبارک الله لدوامه وثبوته انتهي
وفي القاموس تبارک الله اي تقدس وتنزه هذا هو
المشهور وحمله صاحب القاموس علي قولهم وبارک علي محمد علي
معني الدوام حيث قال وبارک علي محمد اي ادم له مااعطيته
من التشريف والكرامة انتهي ولعل حمله علي الزيادة فيه
اولي

اولي لان طلب دوام الكرامة والشرف في حقه عليه السلام كتحصيل
الحاصل لان الانبيا عليهم السلام لايزالون عن الكرامه والشرف
كما لايخفي هدي للعالمين الهدي الرشاد والدلالة الي الخير
يذكر ويونث يقال هداه الله للدين هدي يتعدي الي ثاني
مفعوليه باللام ويتعدي بالي ايضا كقوله تعالي وانک لتهدي
الي صراط مستقيم ويتعدي بنفسه كقوله تعالي اهدنا الصراط
المستقيم واما استعمالها في الشر كما في قوله تعالي فاهدوهم الي
صراط الجحيم فعلي طريق التهكم ذكره ابن كمال الفاضل في تفسير
الفاتحة والكلام فيه كثير لكن هذا القدر كاف فيما نحن فيه
بصدده واما كون البيت الشريف هدي فذكروا فيه وجوها
الاول انه قبلتهم ومتعبدهم يعني انه يول الي جهة صلاة المو منين
ذهب الي هذا صاحب الكشاف والقاضي وغيرهما ولاشک
ان هذا الوجه دال بالنسبة الي بعض العالمين لانه ليس
بقبلة للعالمين جميعا ح يفوت المناسبة لقوله فيه ايات
بينات لانه ايات بينات بالنسبة الي جميع العالمين وتفسير
للهدي للعالمين ومع ذلک فالظاهر ح ان يقال هدي للمومنين
فالعدول عنه يقتضي سببا واقول ايضا فالوافق تفسير
قوله تعالي وضع للناس اي جميع الناس فالمناسب للموضع ان يكون
هداه ايضا للجميع فتدبر والثاني ان يكون هدي للعالمين

الي الجنة ولا يخفي ما فيه والثالث الوجه عندي انه دال لجميع العالم
علي وجود الصانع المختار القديم القادر علي كل شي اذ لو كان وضع
المخلوقين لخرب واندرس بالكلية كما في مصانع المخلوقات كمنارة
الاسكندرية والقليس التي بناها ابرهته وهدمها حجير وايوان
كسري وهيكل الشمس التي في ناحية المصر مع بعض هذه المصانع
كان موسسا بالطلسمات العجيبة وايضا هلاك من قصده
بسوء مرارا بابابيل من السما كامطار الحجر وغيره يدل علي انه
له صانع قادر علي كل شي لان مثل هذا لا يمكن صدوره عن غيره
فاذا وضعه لجميع الناس يكون هداه ايضا لجميع الناس كالايات
البينات فيه فينتظم السياق وهو الملايم لكلام العليم الخلاق
فيه ايات بينات ضمير فيه عايد الي البيت وايات مرفوع بالمجرور
قبله وهو فيه فيكون حالا والعامل فيها محذوف وذلك المحذوف
هو الحال حقيقة ونسبة الحالية الي الظرف والمجرور مجازية ولاجل
ذلك قال ابن مالك وما يسند الي الظرف من خبرية وعمل سواء
فالاصح كونه لعامله والحال هنا مقدرة وهو كاينا سوا كان العامل
فيها هو العامل بمكة او العامل فيها وضع واما ما قاله ابو البقا
من ان يكون حالا من الضمير في قوله للعالمين والعامل فيه هدي
رد علي ابي البقا فغير سديد لانه اذا كان العامل في العالمين
هدي ولا مضمر فيه لان الظرف اذا تعلق بظاهر فلا ضمير فيه
صرح

صرح بذلك الامام السفاقسي واما كونه حالا من الضمير في مباركا
فجايز عند من يجوز الفصل بين الحال والعامل فيها كما سبق وجوز
البعض كونه صفة لهدي كما ان للعالمين لذلك انتهي وانت
خبير بان معني الهدي الدلالة كما ذكرناه وكذلك معني الاية
هو الدلالة فيكون حاصل المعني الدلالة التي فيها الدلالة
ولا يخفي ما فيه فليتامل هذا علي تقدير ان يكون الظرف متعلقا
لما قبله من الجمل لكن جوز البعض كونه جملة مستانفة من مبتدا
وخبر ومن العجايب ما ذكره ابو حيان في هذا الموضع حيث قال
الضمير في فيه عايد علي البيت فينبغي ان لا يذكر من الايات
الا ما كان في البيت لكنهم توسعوا في الظرفية اذ لا يمكن
حملها علي الحقيقة لانه كان يلزم ان الايات تكون داخله الجدرات
انتهي ولا يخفي علي من له ادني شعور ومعرفة في علم النحو
ان ليس حقيقة الظرفية من قولهم زيد في ارضه ان يكون
زيد داخلا في اجزاء الارض بل حقيقة الظرفية عندهم
الاشتمال قالوا اذا قلت زيد في ارضه فالمعني ان الارض قد
اشتملت عليه وصارت ظرفا له وكذلك اذا قلت الركض في
الميدان فالمعني ان الميدان قد اشتمل علي الركض فصار ظرفا
له ومنه قوله تعالي الم غلبت الروم في ادني الارض

نعم قد يكون الظرفية مجازية كما في قوله تعالى يدخل من يشاء في
رحمته جعلت الرحمة كانها ظرف لمن رحمه وجعل ذلك كالمحسوس
وقرينة المجاز الدخول اذ لا يكون الدخول الا في المحسوس وكذلك
قولهم فلان ينظر في العلم ولا شك ان قوله تعالى فيه ايات بينات
ليس من هذا القبيل هذا بينات اي علامات واضحات لا
يلتبس على احد كانحراف الطيور على موذات البيت على مدى
الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا يتعرض
لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل وكقصة
اساف ونايلة كما بيناها في المقدمة وحكاية الحية المشرقة على
جداره واما عدم انمحاق الجمار على كثرة الرامي من
الايات البينات فيه ليس كما ينبغي هذه على تقدير عدم
ذلك الايات وانما ذكرها لغاية وضوحها بالنسبة الى العالمين
او للدلالة على كثرتها وعظم شانها فان قيل لم لا يجوز ان يكون
هذه الايات من قبيل الطلسمات وامر الطلسمات مشهور
قلنا لو كان هذا من باب الطلسمات لكان هذا طلسما مخالفا لساير
المطلسمات فانه لم يحصل شي سوا الكعبة مثل هذا البنا الطويل
في هذه المدة العظيمة ومثل هذا لا يكون الا من المعجزات انتهى
السوال والجواب لمولانا فخر الدين الرازي في تفسيره

وتبعه

وتبعه كثير من المفسرين ولا يخفى ما في هذا الجواب من الضعف
والركاكة لانه جواب بعد تسليم كونه طلسما مخالفا لساير الطلسمات
فاذا يكون من المعجزات ولا يخفى عليك ان المطلسمات اصناف مخالف
بعضها بعضا لان كل حكيم وفيلسوف يعمل عملا من الطلسمات على
وفق ما اراده ومجرد مخالفته لساير الطلسمات لا يلزم كونه معجزة
لان مبناها على امتزاج الكواكب والطبايع والظاهرات المعجزة ليست
كذلك وبناؤه مدة طويلة لا يفيد لان بناء الاهرام قبل الطوفان
فهو باق الى الان والزمان بالتحريك بنا في مصر وفي القاموس
بنا ان اوليان مصر بناهما ادريس عليه السلام لحفظ العلوم
فيهما عن الطوفان او بنا سنان المتنقل او بنا الاوايل لما علموا
بالطوفان من جهة النجوم وفيها كل علم وطلسم وهناك اهرام
صغار كثيرة انتهى لكن الاصح هنا بناها سهلوق بن سورمد ذكره
المقريزي في خطط الاثار ومع ذلك يجوز ان يكون طلسما لم
يعلمه احد من الحكما كطلسم مصرام وهو ملك قبل الطوفان بنى
الطلسمات العجيبة وجعل فيها عجايب ولا يقدر ان يدخل فيها غير
ابليس عليه اللعنة وتفصيله في الخطط المصرام الجبار ذكره
المقريزي في خطط الاثار وكطلسم الذي في اهرام مصر وهو
موجود الان لكن اقول في جوابه ومن الله التوفيق اعلم

ان علم الطلسم جزا من المعلوم الرياضيه وله اصول وقواعد فلا
باس بان نذكر منها نبذة ليكون الناظر علي بصيرة في الجواب
الذي نذكره ان شاء الله تعالي ومن اصوله معرفة حركة الفلك
اقبالا وادبارا غاية كل ثمانية اجزاء ويتم هذه الحركة في ستماية
واربعين سنة ومنها معرفة الاجتماع الكاين قبل دخول
نيسان وقبل بنزول الشمس راس حمل ومنها معرفة الصور
التي في الفلك لان مبني الطلسمات علي الصورة التي في الفلك
لان لكل شي في الارض وفيما دون فلك القمر شبه وشكل من
جميع الاشكال التي في الفلك كذا ذكره بن وحشية في كتاب
الطلسمات ومنها معرفة حركات الكواكب ومحالها وانظارها
ومنها معرفة طبايع الكوكب حار او يابس رطب او بارد ومنها
معرفة طبيعة البلد الذي يريد ان يعمل فيه الطلسم وطبع
الجسم الذي يعمل فيه وطبع الجسم الذي يلاصق ذلك الجسم وطبع
ما ينقش فيه من جهة خواص الصور عندهم احد الجواهر والدليل
على ذلك ما يظهر من فعلها في الطلسمات والحاصل ان الطلسم
هو استخدام هذه المعلومات من الكواكب الثابتة والكواكب
المتحيرة واستخدام السفليات بترتيب مخصوص بوضع مخصوص
في وقت مخصوص وفي مزاج مخصوص كل ذلك مذكور في
طلسمات

طلسمات بن وحشية ولولا مخافة التطويل لاوردت شكلا واحدا منها
مثلا حتي يتضح لك ما سياتي في الجواب فاذا وعيت ما قررناه لك
من اصل الطلسمات فاستمع لما يتلي عليك من الجواب الحاسم لمادة
الاشكال المذكورة وهو ان هذه الايات المذكورة في البيت الشريف
زاده الله شرفا ليس من جنس الطلسمات قطعا لان مبناه
الصور مثلا انحراف الطيور عنه اذا كان من جنس الطلسمات
لابد له من صورة طاير مخصوص موضوع علي ظهر الكعبة حتي
تؤثر هذه الصورة المخصوصة بطاير مخصوص مثلا انحراف
الحمامة لو كان من قبيل الطلسمات لكانت صورة الحمامة موضوعة
او منقوشة علي ظهر الكعبة والا لا يمكن انحراف علي تقدير الطلسم
فيمتنع ان تكون هذه الصورة المخصوصة موثرة في انحراف
جميع الطيور مع ان جميع الطيور لا تعلوا علي الكعبة وهذا دليل
قاطع علي ان ليس من جنس استخدام العلويات لانه يحتاج
الي ترتيب بل هو تاييد رحماني لا يحتاج الي استخدام شي اصلا
وايضا لو كان هذه الايات من جنسها لزالت بتبدل الوضع
وتغيره لانها تتبدل بتبدله كما ذكرناه كما يتغير طلسم منارة
الاسكندر وطلسم ابو الهول في المصر والبيت الشريف
قد هدم مرارا وبني مرارا ووقع التبدل والتغير في الحجر

والحطيم والباب كما ذكرناه في المقدمة مع ان كل هذه الايات باقية
علي حالها وعندي ان الله تعالي قدر هذا الهدم والبنا الجديد
لدفع هذا المعني والا فهو قادر علي ابقايه الي اخر الزمان كبقا
الفلك وبهذا ابندفع ايضا ما قيل من انه يجوز ان تكون الصورة
في الاساس ولم يطلع عليه احد لان اساسه قد يتبدل ايضا
وما وقع في الحديث من تخريب الحبشة يدل علي ما قلناه ايضا
ومن الدلايل القطعية ايضا كون هذه الايات متخالفة بعضها
لبعض كانحراف الطيور وهلاك اصحاب الفيل وغيرها وهذه
المخالفات لا يتصور في الطلسم لان تاثيره في طبيعة واحدة
لا في طبايع مختلفات كما سبق لا يقال لم لا يجوز ان يتصور
عامل الطلسمات لكل اية صورة مخصوصة ويكون هذه التا
ثيرات من الصور الكثيرة لانا نقول هذا غير ممكن لان عمر رجل
واحد لا يفي بمثل هذه الاعمال الشاقة ومع ذلك لو كان لكان
واحد معلوما او محسوسا او مكشوفا كما في ساير الطلسمات
وهذا مما انفردت به وانما اطنبنا الكلام في اثبات هذا المرام
لان يكون قاطما بعرق مطاعن الملاحدة والزنادقة في حق
الكعبة والبيت الحرام ومن الله الهداية والسلام ولقد
رايت في المنام قبل مطالعتي في هذا المقام اني زرت الكعبة
المكرمة:

المكرمة من جانب الباب وقبلت العتبة العالية وتضرعت الي جناب
الله عز وجل فلما رجعت مقبلا تحرك الركن الذي فيه الناس كانه #
يشيعني او يقبل الي اقبالا تاما واولتها بتحرير هذا المحل ولله الحمد
والمنة مقام ابراهيم مفعل من القيام وفي اعرابه وجوه الاول
وهو الوجه عندي قال الاخفش تقدير الاية فيه ايات بينات
منها مقام ابراهيم وانما خص بالذكر لتعظيم شانه او لكونه محسوسا
لكل احد الي نزول كساير الايات لانها تظهر في وقت دون وقت
و ح فيكون مبتدا محذوف الخبر ويمكن ان يكون خبر المبتدا المحذوف
تقديره احدها مقام ابراهيم ولا يلتفت الي ما نقل عن الكساي
حيث قال يجوز علي سبيل العطف والاضمار تقديره وفيه مقام
ابراهيم لانه ضعيف بحسب الاعراب والمعني اما الاول فلانه
يدخل مقام ابراهيم في قوله تعالي فيه ايات بينات حتي عد
البعض الحجر الاسود ومقام ابراهيم من الايات التي في البيت
فكيف يصح ان يقال بعد ذلك فيه مقام ابراهيم نعم يصح علي قراءة
من قراءته اية بينة وفيه ما لا يخفي خذ هذا فان هذا التحقيق
مما انفرد به العبد الضعيف واما اعرابه علي تقدير ان تكون
الايات مذكورة فعلي وجهين الاول ان يكون بدل الكل من
الكل كما ذهب اليه ابو حيان وبعض المعربين و ح يحتاج الي

واما الثاني فلانه لا ضرورة الي الاضمار والعطف يلزم منه التفكيك فلا نفهم

التاويل لان النحويين نصوا على انه متى ذكر جمع لايبدل منه
الا ما يوفي بالجمع فيقال مررت برجال زيد وعمرو وبكر لانه اقل
الجمع على الصحيح ثلاثة وان يكن البدل جمعا ايضا وجب القطع
عن البدلية اما الى النصب باضمار فعل واما الى الرفع بان يكون
مبتدا محذوف الخبر كما تقول في المثال المذكور زيدا وعمروا اعني
زيدا او زيد منهم ومنه قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود فرعون
وثمود اعني فرعون وثمود وكذلك يحتاج الى التاويل من اعراب
هن مقام ابراهيم وتاويله على ما ذهب اليه الاكثر ان مقام وان
كان مفردا لفظا الا انه مشتمل على ايات كثيرة لان اثر القدمين
في الصخرة الصماية وغوصها فيه اية وابقاءه على ممر الزمان
وحفظه عن الاعداء مع كثرتهم اية اخرى وذهب الزمخشري
الى ان يكون مقام ابراهيم اية وامن من دخله اية اخرى والا
نوع من الجمع كالثلاثة اقول واما ما نقله الرازي عن المبرد
في باب التاويل من ان المقام مصدر فلم يجمع فغير صحيح لان
شمول معنى المصدر على الكثرة لا يفيد كثرتها لان المقام
مضاف الى ابراهيم نيفيد كثرة مقام ابراهيم لا كثرة المقام
ولا شك في عدم صحته لانه مخالف لقوله تعالى واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى لا يقال حمل المقام المناسك يصحح هذا القول

ولوصح

ولوصح هذا الحمل لما احتاج الزمخشري الى تاويل المقام بالجمع لانا
نقول هو مخالف لاجماع المفسرين ومخالف لما ذكرنا بل هو قول
من لا يعتني بشانه فافهم واما اذا جعل بدل البعض من الكل
كما ذهب اليه القاضي وبعض المتاخرين فهو وجه صحيح لانه
لا يحتاج الى تكلف لانه بدل معرفة فهذا جاير كما جوزوا ابدال
نكرة موصوفة من معرفة كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
واما جعله عطف بيان كما ذهب اليه الزمخشري فمشكل جدا
بل لا صحة له اصلا عند البعض اما الاشكال فلانه مخالف
لاجماع الكوفيين والبصريين لان حكم عطف البيان عند
الكوفيين حكم النعت يجب التطابق تعريفا وتنكيرا دل على
ذلك قول الزمخشري ايضا في مفصله حيث قال الفرق بين
الصفة وبين عطف البيان كون الصفة في المشتقات وعطف
البيان في الجوامد وفي غيره كالصفة وهو قول ابي علي الفارسي
ايضا واما عند البصريين فلا يجوز الا ان يكونا معرفتين ولا
شك ان ايات نكرة ومقام معرفة كذا ذكره الشيخ وغيره من
المعربين واما عدم صحته وكره بن هشام حيث قال ان
عطف البيان لا يخالف متبوعه في تعريفه وتنكيره واما
قول الزمخشري ان مقام ابراهيم عطف بيان على ايات بينات
فسهو سنه واعتذر عنه فقال انه اطلق عطف البيان واراد

به البدل تسامحا انتهي اقول نعم يمكن هذا اذا اريد منه البدل
الكل من الكل كما قال الرضي في شرحه للكافيه ما ظهر لي الي ان فرق
بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان واما اطلاق عطف البيان
علي البدل في مثل هذا الموضع الذي امتنع فيه العطف علي البيان عند
الفريقين كما ذكرناه انفا فبعيد عن شيخ الصناعة ويمكن ان يقال
في جوابه انه انما جوز ذلك لان ايات وان كانت نكرة لكنها مخصوصة
ببينات فيكون كالمعرفة فيكفي هذا القدر بان يكون عطف بيان
عنده كما قال في الاخبار عن النكرة كقوله تعالي اجل مسمي عنده
فافهم واما ما ذكره البيضاوي عقيب جواز هذا العطف من قوله
ويويده قراة من قراء اية بينة فيحتمل علي وجهين الاول انه يويد
كونه عطف بيان كما هو الظاهر من كلامه وكلام صاحب الكشاف
صريح في هذا المعني واليه ذهب البعض من المحشيين والثاني
يويد كونه معني المقام متعددا ولا شك في عدم استقامته لان
هذه القراة تنافي التعدد فكيف يويده كذا قالوا اقول لا وجه
لكونه مويدا لكونه عطف بيان ايضا لان المانع من كونه عطف
بيان كون اية نكرة ومقام معرفة كما مر ذلك فهذا المانع موجود
ايضا علي قراة بينة لا كون المقام مفردا او الايات جمعا فقط حتي
يكون للتاييد وجها وهذا مانع اخر قابل للتوجيه كما سبق توجيهه
الا تري ان ابا حيان جعل مقام علي هذه القراة بدل معرفة من
نكرة

نكرة موصوفة كقوله تعالي لتهدي الي صراط مستقيم صراط
الله حيث قال واما علي قراة من قرا اية بينة فالتوجيه فاعرا به
بدل وهو بدل معرفة من نكرة موصوفة انتهي ولو كان المانع
كون مقام مفردا والايات جمعا فقط لجعله عطف بيان بعد
ارتفاع المانع حاصله ان مقام علي قراءة الجمهور اما بدل او
عطف بيان وكذلك علي قراة اية بينة اما بدل كما نقلناه
عن ابي حيان واما عطف بيان وعلي هذا وجه التاييد غير
ظاهر فليتامل لانه لا مانع لجعله بدلا بخلاف عطف البيان
لان المانع موجود فيه وهو كون البدل معرفة والمبدل منه
نكرة هذا ما في اعراب المقام واما حقيقته فقالوا انه من
احجار الجنة وكان كرسيا لادم عليه السلام كما ورد في الحديث
عن بن عباس وبن عمرو بن العاص انهما قالا الركن والمقام
من الجنة وعن بن عباس رضي الله تعالي عنهما انزل الله تعالي
الركن والمقام مع ادم عليه السلام ليلة نزوله واما سبب
هذه الاية فعلي ثلاثة اقوال الاول انه لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة رقي علي هذا الحجر
فغاصت فيه قدماه كما ذكرنا في المقدمة والثاني ان الله
تعالي امر لابراهيم بعد تمام البيت بالاذان بالحج وقد ذكرنا تفصيل



ذلك في المقدمة والثالث انه عليه السلام جاء زايرا من الشام الي
مكة فكان قد حلف لامراته انه لاينزل بمكة حتي يرجع فلما وصل
الي مكة دخل بيت اسماعيل وقد تزوج من العمالقة ذكرناه في
المقدمة وسال عن عيشتها فقالت عيشنا نكد وماؤنا غليظ
فقال لها فاين صاحب البيت قالت في حاجته قال اذا جاء
قولي له غير عتبة بيتك ورجع ابراهيم الي منزله ثم جاء اسما عيل
فاخبرته فطلقها ثم تزوج من بني جرهم رعلة بنت مضاض
كما سبق في المقدمة فجاء ابراهيم عليه السلام ايضا الي مكة ودخل
بيت اسمعيل فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
كيف عيشكم ولبنكم فقالت خير عيش بحمد الله عز وجل قال
بارك الله لكم قالت فانزل رحمك الله فاطعم واشرب قال اني
لا استطيع النزول قالت اني اراك شعثا افلا اغسل راسك
وادهنه قال بلي ان شئت فجائته بالمقام وهو يومئذ حجر
رطب ابيض مثل المهاة ملقي في بيت اسمعيل فوضع عليه
قدمه اليمني وقدم اليها راسه وهو على دابته فغسلت
شق راسه الايمن فلما فرغت حولت له المقام حتي وضع
عليه قدمه اليسري فغسلت شقه الايسر فالاثر الذي في
المقام من ذلك هكذا ذكره ابو الجهم واكثر المفسرين من الثقات
انتهي

انتهي لكن الارجح واللايق لتعظيم الله تعالي شان المقام حيث
ذكره في القران العظيم الوجهان الاولان وكذلك الثالث لايلايم
قول بن عباس رضي الله تعالي عنهما ولذلك اختار القاضي الوجه
الاول كما لايخفي على من له ادني وقوف على علم التواريخ واما
مانقله الرازي من الغاسلة لراس ابراهيم عليه السلام هي ام
اسماعيل فبعيد جدا لاجماع اهل التواريخ على ان سبب الغسل
على هذه الطريقة ولكونه مخالفا لما قاله بن جريج من انه ماتت
ام اسمعيل قبل ان يرفع البيت ودفنت في الحجر كما ذكرناه في
المقدمة واما ما نقل عن القفال في جواز الجمع بين الاقوال من
انه يجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام قام على هذا الحجر في هذه
المواضع كلها ليس بمستقيم لان الكلام في ان الاثر الذي في
المقام متي حصل في القيام الاول او في الثاني لا لمجرد القيام لايقال
يجوز ان يحصل الاثر في كل من هذه المواضع اما متفرقة واما
في مكان واحد بالتدريج لانا نقول اما الاول فاحتمال يكذبه
الحس لان المحسوس اثر قدمين فقط واما الثاني فبعيد عن
طور العقل لانه يلزم ان يضع قدميه في كل المواضع على موضع
واحد من المقام ولايخفي ما فيه قال ابو الوليد الازرقي وذرع
المقام ذراع قال وهو مربع سعة اعلاه اربع عشرة اصابع
ومن اسفله مثل ذلك وفي طرفه من اعلاه واسفله طوقان

من ذهب وما بين الطوقين من الحجر من المقام بارز ولا ذهب
عليه **طوله** من نواحيه كلها تسعة اصابع وعرضه عشرة
اصابع في عشرة اصابع طولا وعرض حجر المقام من نواحيه احدى
وعشرون اصبعا ووسطه مربع من القدمان داخلتان في
الحجر سبع اصابع ودخولهما منحرفتين وبين القدمين من الحجر
اصبعان ووسطهما قد استدق من التمسح به والمقام
في حوض من ساج مربع حوله رصاص وعلى الحوض صفائح
رصاص ملبس بها وعلى المقام صندوق من ساج مسقف
ومن وراء المقام ميلبين من ساج في الارض في طرفيه
سلسلتان داخلتان في اسفل الصندوق ويقفل عليهما
فيهما قفلان انتهى كذا ذكره النووي ايضا والازرقي فاذكر
شباك المقام كانه لم يكن في زمنه قال عز الدين بن جماعة
وموضع عرض القدمين في المقام ملبس بفضة وعمقه
من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع
القماش والمقام اليوم في صندوق من حديد حوله
شباك من حديد وعرض الشباك عن يمين المصلي
ويساره خمسة اذرع وثمن ذراع وطوله الى جهة
الكعبة خمسة اذرع الا قيراطين وخلف الشباك المصلي
هذا كلامه

هذا كلامه **أقول** بهذا المصلي هو المراد من قوله تعالى
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا مراد الفقها ايضا
بقولهم صلى ركعتي الطواف خلف المقام **والفقير لما زرت**
هذا المقام الشريف في سنة احدى بعد الالف وجدته كما
قال بن جماعة نحمد الله على نعمائه الجليلة ونشكره على الايه
الجزيله **قال الامام النووي** وهذا الموضع الذي كان فيه في
الجاهلية ثم زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده لم
يتغير من موضعه الا انه جاء سيل في زمن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقال له سيل ام نهشل لانه ذهب بام نهشل بنت
عبيدة بن ابي احيحة فماتت فيه فاحتمل ذلك السيل المقام
من موضعه هذا فذهب به الى اسفل مكة فاتي به فربطوه
في استار الكعبة وكتبوا بذلك الى عمر فاقبل رضي الله عنه
من المدينة فدعا فدخل بعمرة في شهر رمضان وقد خفي موضعه
وعفاه السيل فجمع عمر رضي الله عنه الناس وسالهم عن موضعه
وتشاوروا عليه حتى اتفقوا [على موضعه صح] الذي كان فيه فجعل فيه وجعل
عمر رضي الله عنه الردم يمنع السيل فلم يعد سيل بعد ذلك
الى الان **وروى الازرقي** ايضا ان موضع المقام الذي فيه هو
الان موضعه في الجاهلية **وروى** مثل هذا **عن عروة بن الزبير**
رضي الله عنهما واخرين وبعث امير المومنين المهدي الف دينار

ليصيبوا بها المقام وكان قد استلم ثم امر المتوكل ان يجعل عليه
ذهبا فوق ذلك الذهب احسن من ذلك العمل فعمل في مصدر
الحاج سنة ست وثلاثين ومايتين فهو الذهب الذي عليه
اليوم وهو فوق الذي عمله المهدي **ومن دخله كان آمنا**
والواو ابتدائية بحسب اللفظ وللعطف بحسب المعنى ومن يجوز
ان تكون شرطية كما ذهب اليه الزمخشري وغيره ويجوز ان
تكون موصولة جوزه بعض المعربين ويختص باولي العلم وتوقع
على الواحد والاثنين والجمع كقوله تعالى ومن الشياطين من
يغوصون له وهي من الفاظ العموم يعم لكل من دخل بخلاف
قوله عليه السلام من دخل دار ابي سفيان فهو امن لانه
ليس في جميع ما يصلح له كلمة من بل في كفار اهل مكة يوم الفتح
فمن دخل داره في ذلك اليوم ويكون خاصا كقوله تعالى ومنهم
من يستمعون اليك اللهم الا عند من يكتفي في العموم بانتظام
جمع من المسميات ولا يغرنك عد صاحب التوضيح من العام
ومن قال وفي من تغليب العقلا على غيرهم اذ الامن شامل
عام لغيرهم حتى الاشجار والنباتات لم يصب لانه انما
يصح اذا رجع الضمير الذي في فيه الي الحرم لا الي البيت وذلك
قوله مرجوح لا يليق لمثل كلام الله تعالي كما سيجي بيانه بعد
هذا لان مدار الكلام علي البيت والايات فيه وكذلك المقام
وهذا

وهذا عطف بيان له والحرم ليس بمذكور فكيف يصح
رجوع الضمير اليه وامن الحرم ثابت بقوله تعالى انا
جعلنا حرما امنا لا بهذا اتفاقهم وهو جملة ابتدائية
اي مستانفة وهو وضع لان الابتدا يطلق ايضا
علي الجملة المصدرة بالمبتدا وذلك ان الابتدا يقال
بمعنى انه ابتدا بها الكلام كقولك ابتدا زيد قايم
ومنه الجمل المفتتحة بها السور وعلي هذا ابرادف
المستانفة وقد يقال باشتمال الجملة علي المبتدا
ولا ابرادف المستانفة لان اشتمال الجملة علي المبتدا
يكون فيما ليس له محل وفيما له محل فيكون من
المستانفة والجملة التي يشتمل علي المبتدا الذي
له محل من الاعراب ليس من قبيل المستانف لان
المستانف لا يكون له محل من الاعراب **ثم المستانفة**
نوعان احدهما الجملة المفتتحة بالنطق كما مر مثاله
والثاني الجملة المنقطعة عما قبلها نحو مات زيد رحمه
الله والمراد من الانقطاع اللفظي ان لا يكون لها عامل
سلط عليها لفظا من شي مما قبلها واما التعلق
المعنوي فلا يقدح كون الجملة مستانفة

الا ترى ان جملة الصلة تتعلق بالموصول ولا محل لها فاذا لا يضر تعلق الرحمة بالمبيت معنى في المثال *
المذكور نص على ذلك شارح المغني في النحو فاذا استوضحت ما اريناكه من التحقيق والتدقيق فقد عرفت ما في كلام صاحب الكشاف من الركاكة حيث قال جملة مستانفة اما ابتدائية او شرطية ولاجل ذلك ترك البيضاوي هذه العبارة واختار ما هو المقرر عند النحاة حيث قال جملة ابتدائية وشرطية معطوفة من حيث المعنى انتهى وهو كما ترى جعل الشرطية المعطوفة بحسب المعنى من الابتدائية التي ليست لها محل من الاعراب ومن لم يتفطن لهذه الدقيقة
فسر مراد البيضاوي على خلاف مراده مع فساده في نفسه حيث قال ابتدائية اي مركبة من المبتدا والخبر اما الاول فلان مراده هو الابتدائية المراد للمستانفة لانتفاء عاملها لفظا لا الابتدائية التي اعم منها كما مر ذكره واما الثاني فلان التركيب المذكور في هذه الاية ليس الا من جهة المعنى كما صوره * صاحب الكشاف والمعتبر في هذا الباب هو التركيب

المعنوي

المعنوي لكن لها محل من الاعراب اذ هي على هذا التقدير معطوف على مقام فيكون بتسليط العامل وهذا ظاهر البطلان فافهم فانه مع ما ذكرناه ايضا اعتراض الشيخ ابي البقا على الكشاف حيث قال اذا كان تقديره امن من دخله يلزم منه ان يكون مرفوعا لعطفه على مقام والجملة من قوله ومن دخله لا موضع لها من الاعراب فتدافعا انتهى ولم يدر ان الرفع المعنوي لا يضر كما حققناه مع انه شيخ المعربين فما اشد العذر منه مع عدم الاحتياج اليه خذ هذا فانه قلما يوجد في بطون الاوراق نقل الامام الرازي عن الزجاج انه قال قوله تعالى ومن دخله كان امنا من بقية تفسير الايات كان قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله ولفظ الجمع قد يستعمل في الاثنين قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وقال عليه الصلاة والسلام الاثنان فما فوقهما جماعة انتهى اختلف المفسرون بعد اتفاقهم انه من بقية تفسير الاية وظاهر كلام الزجاج انه من قبيل عطف البيان كما ذهب اليه

صاحب الكشاف وغيره واثبت ان الجمع يطلق علي
الاثنين حتي يصح كونه عطف بيان لجماعة وتحقيق
ذلك انهم اختلفوا في اقل عدد يطلق عليه صيغة
الجمع لا في معني الجمع اذ هو ضم شي بالاتفاق
فذهب اكثر الصحابة والفقهاء وايمة اللغة
الي انه ثلاثة حتي لو حلف لا يتزوج نساء لا يحنث
بتزوج امراتين وتمسكوا بقوله تعالي فان كان له
اخوة والمراد اثنان فصاعدا لان الاخوين
يحجبان الام الي السدس كالثلاثة والاربعة
وكذا كل جمع من المواريث والوصايا حتي
ان الميراث للاختين الثلثان كالاخوات
وفي الوصية للاثنين ما اوصي لاقرباء
فلان وبقوله تعالي فقد صغت
قلوبكما اي قلباكما وبقوله
عليه الصلاة والسلام

الاثنان جماعة واجابوا عن الاول بانه لا نزاع في ان
اقل الجمع اثنان في باب الارث استحقاقا وحجبا والوصية
لكن لا باعتبار ان صيغة الجمع موضوعة للاثنين فصاعدا
بل باعتبار انه يثبت بالدليل ان للاثنين حكم الجمع واما
عن الثاني فانه من قبيل المجاز اذ اطلاق الجمع علي الاثنين
من قبيل اطلاق الكل علي الجزء وعن الثالث بانه محمول
علي المواريث او علي سنة تقدم الامام وتفصيل ذلك في
التلويح واذا تاملت ما حققناه لك عرفت ما في كلام الزجاج
من ان الخروج عن المقام اذ اطلاق الجمع علي الاثنين ليس
علي سبيل الحقيقة واطلعت ايضا علي حسن عبارة صاحب
الكشاف حيث قال لان الاثنين نوع من الجمع ومن غفل عن
هذا التحقيق قال كان المناسب ان يقول ان في الاثنين
معني الجمع وحمل هذا الجمع علي الجمع اللغوي مع انه ليس
كذلك لان الاثنين جمع في باب الارث ولما كان المختار عنده
كون اقل الجمع ثلاثة كما نص عليه صاحب المفتاح ولم يكتف
بذلك بل جعل هذا من قبيل الطي كما في قوله عليه السلام حبب
الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني
في الصلاة ولا شك ان هذا الحديث علي هذه الرواية من قبيل
الطي يعني ذكر الاثنين وترك الباقي لان قوله عليه السلام

وجعلت قرة عيني ليس بمعطوف على ما قبله لانه ليس من
جنسه بل هو من جنس امور الاخرة والعطف في الاصل عبارة
عن الاشتراك والواو متمحض لافادة هذا المعنى فاذا يكون
وقرة عيني كلام مبتدا اقصد به الاعراض عن ذكر الدنيا وما
يجب فيها وفايدة هذا الطي عندهم تكثير هذا الشي كانه
يقول وكثير سواهما بخلاف طي المصطلح عند اهل المعاني فانه
حذف الجمل للاختصار كقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
بطي ابحت لكم الغنايم لدلالة فا السبب واما على ما اخرجه
الامام احمد بن حنبل في كتاب الزهد من حديث انس
ابن مالك والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري
ومسلم والنسايي في سننه والبيهقي في السنن ولفظه عند
الجميع حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلاة وليس فيه لفظ ثلاث الذي استشهد به المص
قال الطيبي فعلى هذا لا يكون من هذا الباب اذ الكاف
من بمعنى في ويكون التقدير في دنياكم كما قاله التستري
في شرح الاربعين وذهب بعض العلما الى ان الصلوة
من امور الدنيا باعتبار انها عبارة في الشرع عن الافعال
المخصوصة في الدنيا فلا يكون من قبيل الطي ايضا وفي
الحديث فوايد كثيرة ونكات لطيفة مذكورة في الكتب ومن
جملتها

جملتها لفظ حبب لا احب وقد ذكر فيه الشيخ الاكبر حكمة جليلة
ومنها ايضا اضافة دنياكم دخله الضمير عايد الى البيت وهو
الظاهر بحسب المعنى لانه من الايات المذكورة في البيت او
على المقام على التجوز باعتبار قربه بحسب اللفظ واما رجا عه
على الحرم فبعيد من حيث اللفظ والمعنى اما الثاني فلان
امن الحرم مذكور في قوله تعالى انا جعلنا حرما امنا فلا يحتاج
ويويد رجوعه الى البيت قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثا به
للناس وامنا وقد اخبر الله تعالى بالامن في حق البيت
في موضعين الاول هذه الاية المذكورة والثاني واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا اي مرجعا للناس وموضع امن
لهم لان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج كذا في
المدارك وغيره وقد ورد في الحديث ايضا اخرج ابن المنذر
والازرقي عن حويطب بن عبد العزي قال ادركت في الجا هلية
في الكعبة حلقا امثال لحم البهم لا يدخل خايف يده فيها الا
لم يهيجه احد فجا خايف ذات يوم فادخل يده فيها فجاءه
اخر وراءه فاجتبذه فشلت يده فلقد رايته ادرك الاسلام
وانه لاشل واخرج جرير بن ابي حاتم من طريق سعيد
ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ومن دخله كان امنا
قال من عاذ بالبيت اعاذه البيت لا يوذي ولا يطعم ولا

يبقي ولا يدع فاذا اخرج اخذ بذنبه انتهي والظاهر من هذا
ان الامن ثابت للبيت الشريف في الجاهلية وفي الاسلام في
الدنيا واما امنه في الاخرة ايضا فلحديث اخرجه عبد بن
حميد وبن جرير وبن المنذر وبن ابي حاتم عن يحيي بن جعدة
ابن هبيرة في قوله تعالي ومن دخله كان امنا قال امن
من النار واخرج البيهقي ايضا عن بن عباس رضي الله عنهما
مرفوعا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من دخل
البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له الحديث
فاذا سمعت ما تلوته من الايات والاحاديث علمت
ان امن البيت علي العموم في الدنيا والاخرة لا هو مخصوص
للامن من العذاب يوم القيامة كما قاله البيضاوي حيث
قال والامن من العذاب يوم القيامة لامن التخصيص
لا يناسب السياق لان الله تعالي يبين لليهود وفضيلة
الثانية المعلومة لهم كمقام ابراهيم فلا يناسب التخصيص
لانهم لا يصدقونه فانهم واما حديث الذي رواه البيضاوي
فهو في حق الحرم ولا شك ان امن الحرم ايضا ثابت بقوله
تعالي اولم انا جعلنا حرما امنا الاية فهذا الامن ايضا عام
في الدنيا والاخرة في الجاهلية والاسلام اما الاول فلحديث
اخرجه بن حاتم عن الحسن في الاية قال كان الرجل في
الجاهلية

الجاهلية يقتل الرجل ثم يدخل الحرم فيلقاه بن المقتول او
ابوه فلا يحركه وعن بن عمر رضي الله عنهما قال لو وجدت
قاتل عمر في الحرم ما هيجته واما الثاني فقد اخرج البيهقي
في الشعب عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث امنا
واخرج الجندي والبيهقي عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من مات
في احد الحرمين بعث من الامنين يوم القيامة الحديث
واما امن بلد مكة فانه ثابت ايضا بالقران العظيم وهو
قوله تعالي رب اجعل هذا بلدا امنا الاية اي ذا امن
او يكون مجازا عقليا كقوله تعالي في عيشة راضية ونهاره
صايم والفرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله
اجعل هذا البلد امنا انه سال في الاول ان يجعله من جملة
البلاد الامن اهلها وفي الثاني ان يزيل الخوف عنه يصيره
ذا امن كذا في الكشاف ويعني ان محط الفايدة هو المفعول
الثاني الكاين بمنزلة الخبر وظاهر الاحاديث الواردة في حق
امن البلد يدل علي انه امن مخصوص في الدنيا اخرج احمد
والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسايي وبن ماجه
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتح الله لرسوله مكة

قام فيهم فحمد الله واثني عليه ثم قال ان الله حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمومنون وانما احلت لي ساعة
من نهار ثم هي حرام الي يوم القيامة لا يعضد شجرها ولا ينفر
صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير
النظرين اما ان يفدي واما ان يقتل الي اخر الحديث قال الشا
في الام البغاة اذا امنوا في الحرم يقاتلون فهذا القول يحتاج
الي التاويل واخرج الازرقي في تاريخ مكة عن الزهري في
قوله رب اجعل هذا بلدا امنا قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم ان الناس لم يحرموا مكة ولكن الله حرمها فهي
الي يوم القيامة وان من اعتي الناس علي الله رجل قتل في
الحرم ورجل قتل غير قاتله ورجل اخذ بذخول الجاهلية واما
فضيلة هذا البلد علي ساير البلاد فقد ورد فيه احاديث
كثيرة منها ما اخرجه سعد واحمد والترمذي وصححه والنساي
وبن ماجه والازرقي والجندي عن عبد الله بن عدي بن الحمرا
قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو علي ناقته
واقف بالحزورة يقول لمكة والله انك لخير ارض الله واحب ارض
الله الي الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت واخرج الازرقي
عن بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لما اخرج من مكة والله اني لاخرج واني لاعلم انك
احب

احب البلاد الي الله واكرمها علي الله ولو ان اهلك اخرجوني
منك ما خرجت تمت الرسالة بحمد الله وعونه والحمد لله
لموفق الاتمام وميسر الاختتام والصلاة والسلام
علي رسول الله فاتح البيت وكاشف المقام حررت
في مكة المشرفة سنة اثني بعد الالف
من الهجرة النبوية علي صاحبها
افضل الصلاة والسلام
وعلي جميع الانبيا
والمرسلين
امين يا رب
العا
لمين

